المائة الثانية

٧- أبو جَعْفَر المنصور، عَبْد الله بن مُحَمَّد بن علي ابن عَبْد الله بن العباس[1].

دخل إفريقية في أيام بني أمية - وهو إذ ذاك سوقة - فراراً منهم، وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح، وخلع فيها وقتاً، ثم عادت إليه وولاها الأغلب بن سالم التميمي، جد الأغالبة المتداولين ملكها إلى أن غلبهم عليها عبيد الله الشيعي فانقرضوا به.

وكان يقال لأبي جَعْفَر في صغره (مقلاص)، لُقب بذلك تشبيها بالمقلاص من الإبل، وهي الناقة التي تسمن في الصيف وتهزل في الشتاء، وكذلك كان أبو جَعْفَر. حكى ذلك أبو الوليد الوقشي، قال: وهو مقلوب العادة. وليس في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جَعْفَر المنصور وعبد الله المأمون، ثم بعدهما الرشيد والواثق، ومن متأخريهم المسترشد بن المستظهر؛ وأشعرهم أبو العباس الراضي بن المقتدر.

وأبو جَعْفَر معدود في الكملة من الملوك، وكان يفرط في دعواه الاطلاع، ويقرط بتقريظ نفسه الأسماع، فمن قوله في بعض خطبه: الملوك أربعة: مُعَاوِيَة وكفاه زياده، وعبد الملك وكفاه حجاجه، وهشام وكفاه مواليه، وأنا ولا كافي لي!. ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم بدعوتهم - وقد حذر من عاقبة ذلك - كتب إليه عيسى بن موسى بن علي ابن عَبْد الله بن العباس مشيراً عليه بالأناة، وكان قد شاوره فيه:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدثر ... إن فساد الرأي أن يتعجلا

فقال المنصور يجيبه:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإن فساد الرأي أن يترددا

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٦٦، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٢٩٨، وقال ابن عساكر: عَبْد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عَبْد الله ابن عباس بن عَبْد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور بويع له بالخلافة بعد أخيه أبي العباس السفاح وأمه أم ولده اسمها سلامة روى عن أبيه مُحَمَّد روى عنه ابنه المهدي.

ولا تهمل الأعداء يوماً بقدرة ... وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

وينظر إلى هذا قول عَبْد الله بن المعتز:

وإن فرصة أمكنت في العدا ... فلا تبد فعلك إلا بها

فإن لم تلج بابها مسرعا ... أتاك عدوك من بابها

وإياك من ندم بعدها ... وتأميل أخرى، وأبى بها؟

وقال المنصور:

تقسمني أمران لم أفتتحهما ... بحزم ولم تعرك قواى الكراكر

وما ساور الأحشاء مثل دفينة ... من الهم ردتها عليك المصادر

وقد علمت أبناء عدنان أنني ... لدى ما عرا مقدامة متجاسر

وقال أيضاً يخاطب مُحَمَّداً وإبراهيم ابني عَبْد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة:

بنى عمنا، لا نصر عندكم لنا ... ولكنكم فينا سيوف قواطع

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم ... وبالله أحمى عنكم وأدافع

لكنتم ذنابى آل مَرْوَان مثلما ... عهدناكم، والله معط ومانع

٨- عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة بن هِشَام بن عَبْد الملك بن مروان[1].

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/ ١٠٩، وقال الصفدي: عَبْد الرَّحْمَن الداخل: عَبْد الرَّحْمَن بن معاوية بن هِشَام بن عَبْد الملك الأموي الداخل إلى الأندلس، وهو أول من ملك الأندلس، وانفلت من بين يدي بني العباس وأبعد إلى المغرب. أقام ببرقة خمس سنين، ودخل بدر مولاه يتجسس له الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلاً من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ فقالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عَبْد الرَّحْمَن بن معاوية فأتوه فبايعوه، فولي عليهم ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان دخوله الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة، وكانت ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة اشهر وكان يوسف الفهري أول من قطع الدعوة عنهم، وكانوا من قبله يدعون لولد عَبْد الملك بن مَرْوَان بالخلافة فأبطل يوسف ذلك، فلما دخل عَبْد الرَّحْمَن قاتل يوسف واستولى على البلاد، وبقي ملك الأندلس بأيدي أولاده إلى رأس الأربع مائة.

الداخل إلى الأَنْدَلُس، ويقال له (صقر قريش) - سماه أبو جَعْفَر المنصور بذلك - وكنيته أبو المطرف، وهو الأشهر في كنيته، وقيل: أبو زيد، وقيل: أبو سليمان.

هرب في أول دولة بنى العباس إلى المغرب، وتردد بنواحي إفريقية، وأقام دهراً في أخواله نفزة من قبائل البربر، وكانت أمه منهم، راح ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهزم أميرها يوسف ابن عَبْد الرَّحْمَن الْفِهْرِيّ في يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة من هذه السنة، واستوسقت له الخلافة ليوم آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة.

ودعا لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قرطبة، ويقال: إنه أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جَعْفَر المنصور، متقيلا في ذلك يوسف الْفِهْرِيّ الوالي قبله، إلى أن أفرد نفسه بالدعاء؛ ويقال: إن عَبْد الملك بن عمر ابن مَرْوَان بن الحكم أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله؛ إلا أنه لم يعد اسم الإمارة، وسلك الأمراء من ولده سنته في ذلك إلى عهد عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الناصر لدين الله، فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه، ودعى بأمير المؤمنين لما استفحل أمره واستبان له ضعف ولد العباس وانتشار سلطانهم بالمشرق، وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جَعْفَر بن أحمد المعتضد منهم. ذكر ذلك أبو مَرْوَان حيان بن خلف بن حيان صاحب تاريخ الأَنْدَلُس.

ومن شعر عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة يتشوق معاهده بالشام، أنشده الحميدي في تاريخه: .

= وكان عَبْد الرَّحْمَن من أهل العلم، على سيرة جميلة من العدل في قضائه، وكانوا يقولون: ملك الدنيا ابنا بربريتين، يعنون المنصور وعبد الرَّحْمَن، وكان المنصور إذا ذكر له عَبْد الرَّحْمَن قال: ذاك صقر قريش دخل المغرب وقد قتل قومه، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى تملك. قال ابن حزم: خطب عَبْد الرَّحْمَن بالخلافة لأبي جعفر المنصور أعواماً، ثم ترك الخطبة، ولم تهجه بنو العباس ولا تعرض هو لهم. وكان بقرطبة جنة اتخذها عَبْد الرَّحْمَن، وكان فيها نخلة تولدت منها كل نخلة بالأندلس. وتوفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة.

أيهـــا الركـــب المـــيمم أرضي ... أقـر مـن بعـضي الـسلام لـبعض
إن جـسمي كـما علمـت بـأرض ... وفـــؤادي ومالكيـــه بـــأرض
قـــدر البـــين بيننـــا فافترقنـــا ... وطـوى البـين عـن جفـوني غمـضي
قـــد قـــضى الله بـــالفراق علينـــا ... فعـسى باجتماعنـا سـوف يقـضي

وقال أيضاً في حيوة بن ملامس الحضرمي من جند حمص النازلين إشبيلية، وكانت له منه منزلة لطيفة في أول ملكه:

فـــلا خـــير في الـــدنيا ولا في نعيمهـــا ... إذا غاب عنهـا حيـوة بـن ملامـس
أخو السيف، قاري الضيف حقا يراهما ... عليه، ونافي الضيم عـن كـل بـائس

وحكى عيسى بن أحمد الرازي أن عَبْد الرَّحْمَن بـن مُعَاوِيَـة - أول نزولـه منيـة الرصـافة بقرطبة واتخاذه لها - نظر إلى نخلة مفردة، فهاجت شجنه وتذكر بلد المشرق فقال بديهاً:

تبـدت لنـا وسـط الرصـافة نخلـة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخـل
فقلت: شـبيهي في التغـرب والنـوى ... وطول التنـائي عـن بنـي وعـن أهـلي
نـشأت بـأرض أنـت فيهـا غريبـة ... فمثلـك في الإقـصاء والمنتـأى مـثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يـسح ويـستمري الـسماكين بالويـل

وقال أيضاً فيها:

يـــا نخـــل أنـــت غريبـــة مـــثلي ... في الغـــرب نائيـــة عـــن الأصـــل
فـــأبكى، وهـــل تبكـــي مكبـــسة ... عجـــماء لم تطبـــع عـــلى خبـــل؟
لـــو أنهـــا تبكـــي، إذاً لبكـــت ... مـــاء الفـــرات ومنبـــت النخـــل
لكنهـــا ذهلـــت، وأذهلنـــي ... بعـــضي بنـــي العبـــاس عـــن أهـــلي

وقد قيل: إن الأبيات الأربعة الأول لعبد الملك بن بشر بن عَبْد الملك بن بشر بـن مَـرْوَان بن الحكم، قالها عند دخوله الأَنْدَلُس فراراً من بني العباس في صدر أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة. وقيل في الأبيات الأخيرة: إنها لعبد الملك ابن عمر بن مَرْوَان بن الحكم، وقد اجتاز في

قصده قرطبة، حضرة الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة - على ما حكى الحافظ - بمدينة إشبيلية، فرأى في موضع منها - يعرف بـ(النخيل) إلى اليوم - نخلة مفردة، فلحقته رقة عند النظر إليها، وقال بديهاً الأبيات المذكورة.

ومما يرد هذا القول ويقوي نسبتها - أعني: الأبيات الأخيرة - لعبد الرَّحْمَن ابن مُعَاوِيَة، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عَبْد الملك بن بشكوال في تاريخه، وقرأته على القاضي أبي الخطاب أحمد بن مُحَمَّد بن واجب القيسي بمدينة بلنسية عنه قراءة عليه بحضرة قرطبة، قال: قال أبو بكر مُحَمَّد بن موسى بن فتح، يعرف بابن الغراب: دخلت يوماً على أبي عثمان بن الفزاز وهو يعلق فقلت له: رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والعدول قد نهضوا بجمعهم إلى حيازة الجنة المعروفة بـ(رينالش)، وهبها هِشَام للمظفر بن أبي عامر. قال: فقال لي ابن القزاز: إن هشاماً لضعيف، هذه الجنة المذكورة هي أول أصل اتخذه عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة؛ وكان فيها نخلة أدركتها بسنى، ومنها توالدت كل نخلة بالأندلس. قال: وفي ذلك يقول عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، وقد تنزه إليها، فرأى تلك النخلة فحن: يا نخل أنت غريبة مثلي، وذكر الأبيات إلى آخرها.

وحكى أبو عمر أحمد بن مُحَمَّد بن فرج صاحب كتاب "الحدائق" المؤلف للحكم المستنصر بالله من أشعار الأَنْدَلُسيين، قال: بلغني أن بعض الوفود من قريش كتب إلى الإمام عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة - رحمه الله - يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمستطمع، فوقع في ظهر كتابه:

شتان من قام ذا امتعاض ... منتضى الشفرتين نصلا

فجاب قفراً، وشق بحراً ... مساماً لجة ومحلا

فشاد مجداً وبز ملكاً ... ومنبراً للخطاب فصلا

وجند الجند حين أودى ... ومصر المصر حين أخلى

ثم دعا أهله جميعاً ... حيث أنتأوا، أن: هلم أهلا

فجاء هذا طريد جوع ... شريد سيف أباد قتلا
فنال أمناً، ونال شبعاً ... وحاز مالاً، وضم شملا
ألم يكن حق ذا على ذا ... أعظم من منعم ومولى؟

وبعض هذا الشعر عن ابن حيان، وأوله عنده:

شتان من قام ذا امتعاض ... فشال ما قل واضمحلا
ومن غدا مصلتاً لعزم ... مجرداً للعداة نصلا

فجاب قفراً... البيت.

وبعده: فبز ملكاً وشاد عزا إلا أن ابن حيان ذكر عن مُعَاوِيَة بن هِشَام الشبينسي، أن جلساء عَبْد الرَّحْمَن القادمين عليه من فل أهله بالشام، حدثوه يوماً ما كان من الغمر بن يزيد بن عَبْد الملك بن مَرْوَان ابن عمه أيام محنتهم، وكلامه للعباس الساطي بهم - ونسب ذلك إلى عَبْد الله بن علي؛ وفي الأوراق للصولي: أن السفاح عَبْد الله بن مُحَمَّد بن علي تولى قتل الغمر، وقد فخر في مجلسه بمناقب قومه - وكثر القوم في وصف ذلك وعجوا به، فكأن الأمير عَبْد الرَّحْمَن أحتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهاب بنفسه لاقتطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عدوه، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة.

قال ابن الفرج: وأتاه في بعض غزواته آت ممن كان يعرف كلفه بالصيد، فأخبره عن غرانيق واقعة في جانب من مضطرب العسكر وحركه إلى اصطيادها، فقال:

دعني وصيد وقع الغرانق ... فإن همي في اصطياد المارق
في نفق إن كان أو في حالق ... إذا التظت لوافح الضوائق
كان لفاعي ظل بند خافق ... غنيت عن روض وقصر شاهق
بالقفر والإيطان بالسرادق ... فقل لمن نام على النمارق
إن العلا شدت بهم طارق ... فاركب إليها ثبج المضائق
أولا، فأنت أرذل الخلائق ... .

٩- ابنه هِشَام بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة[1]:

ولي الخلافة بالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة إحدى وسبعين ومائة. وكانت وفاة أبيه وهو بباردة يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر، وبقرطبة ولد له هِشَام هذا لأربع خلون من شوال سنة تِسع وثلاثين ومائة؛ ويعرف بـ (الرضا) لعدله فضله، ويكنى أبا الوليد. واستوزره أبوه عَبْد الرَّحْمَن وأخاه كبيره سليمان المولود بالشام تنويهاً بحالها، وأخذهما بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته. وكانا يركبان متداولين ومتناوبين لا يجتمعان: فإذا كان يوم هشام، تأهب حاضرو المجلس من كبار أهل المملكة والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب مثل أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية تدبير أو إحماد سيرة؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله، وانبسط الحاضرون في غث الأحاديث وأخذوا في الدعابة.

ويروى أن رجلا يعرف بالهواري دخل على هِشَام في حياة أبيه عَبْد الرَّحْمَن ابن مُعَاوِيَة - وهو مرشح للخلافة - فقال له: إن فلاناً مات عن ضيعة تعود بكذا وكذا من الغلة، وأنها تباع في دين أو عن وصية، وهي ناعمة مثمرة وطيبة الأرض مخصبة، وحضه على اشترائها. فقال له: أنا أريد أمراً إن بلغته غنيت عنها، وإن قطع بي دونه خسرتها؛ ولاصطناع رجل أحب إلي من اكتساب ضيعة. فقال له الهواري: فاصطنعني بها تجد أكرم مصطنع. فأمر بابتياعها، فأشار بعض من حضر إلى أن الاستعداد بالمال أعون على درك الآمال، فأطرق عنه ثم قال:

البذل لا الجمع فطرة الكرم ... فلا ترد بي ما لم ترد شيمي
ما أنا من ضيعة وإن نعمت؟ ... حسبي اصطناع الأحرار بالنعم
ملك الورى، والعباد قاطبة ... لا ملك بعض الضياع من همي
تفيض كفي في السلم بحر ندى ... وفي سجال الحروب بحر دم
تزل عن راحتي البدور، وما ... تمسك غير الحسام والقلم

---

(١) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٠٨، والكامل في التاريخ ٣/ ٩٧.

لم أجد لهذا الملك الأمجد - مع نشدان ضالة كلامه - غير هذا المنشد. وإن كان قليلا فكفى دليلا على سرف الحباء وشرف الحوباء، حتى كأن أعشى همدان سمع بطوله فاعتمده بقوله:

رأيتك أمس خير بني لؤي ... وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غداً تزيد الخير ضعفاً ... كذاك تزيد سادة عَبْد شمس

١٠ - ابنه الحكم بن هِشَام المعروف بـ(الربض)، أبو العاصي[1].

ولي بعد أبيه يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة. وكان شجاعاً باسلاً، أديباً مفتناً، خطيباً مفوهاً، وشاعراً مجوداً، تحذر صولاته، وتستندر أبياته.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ١١٧، وقال ابن الخطيب: الحكم بن هِشَام بن عَبْد الرَّحْمَن بن معاوية بن هِشَام بن عَبْد الملك بن مَرْوَان بن أمية.

كنيته أبو العاصي. صفته: آدم شديد الأدمة، طويل، أشم، نحيف، لم يخضب. بنوه تسعة عشر من الذكور، منهم عَبْد الرَّحْمَن ولي عهده. بناته، إحدى وعشرون، أمه أم ولد اسمها زخرف.

وزراؤه وقواده، خمسة منهم إسحاق بن المنذر، والعباس بن عَبْد الله، وعبد الكريم بن عَبْد الواحد، وفطيس بن سليمان، وسعيد بن حسان.

قضاته: مصعب بن عمران، وعمر بن بشر والفرج بن كنانة، وبشر ابن قطن، وعبد الله بن موسى، ومُحَمَّد بن تليد، وحامد بن مُحَمَّد بن يحيى.

كتابه فطيس بن سليمان. وعطاف بن زيد، وحجاج بن العقيلي. حاجبه، عَبْد الكريم بن عَبْد الواحد بن مغيث.

حاله: كان الحكم شديد الحزم، ماضي العزم، ذا صولة تتقى، وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل، والعدل في رعيته، مبسوط اليد بالعطاء الكثير، وكان فصيحاً، بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً، نحوياً.

قال ابن عذارى، كانت فيه بطالة، إلا أنه كان شجاعاً، مبسوط اليد، عظيم العفو، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه، فضلا عن ولده وخاصته، وهو الذي جرت على يده الفتكة العظيمة بأهل ربض قرطبة، الذين هاجوا به وهتفوا بخلعانه، فأظهره الله عليهم، في خبر شهير، وهو الذي أوقع بأهل طليطلة أيضاً، فأبادهم بحيلة الدعاء إلى الطعام بما هو معلوم.

وهو الذي أوقع بأهل الربض فنسب إليه، وأمرَ بهدمه وتعطيله، وصير ذلك وصية فيمن خلفه وعهداً على بَنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس. فلم يعمر ولا اختطت فيه دار إلى آخر دولتهم، ثم بعدها إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وأقام على ذلك نحواً من أربعمائة سنة وثلاثين سنة؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم.

وكانت وقعة الربض الشنعاء يوم الأربعاء النحسة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر خلافة الحكم، ويوم الخميس بعده أمر بهدم الربض القبلي الذي منه نشأت الفتنة، فأعيد بطحاء مزرعة، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأسر خلقا جماً، صلب منهم نحو ثلاثمائة صفوا من إزاء باب القنطرة إلى آخر المصارة مع ضفة النهر، لم ير فيما سلف ممثلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظراً. وتمادى القتل والنهب لمنازلهم والتتبع لمستخفيهم ثلاثة أيام، لم تقل لمن عثر عليه منهم عثرة، وجرت عليهم خلالها محن لا تضبطها الصفة. وكف الحكم عن الحرم ووصى بهن فأجمل في ذلك ما شاء.

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين الفل، على أن يخرجوا من حضرته قرطبة، فساروا عن أوطانهم كل بحسب ما أمكنه. واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول، في يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان المؤرخ، متفرقين في قصى الكور وأطراف الثغور. ولحق جمهورهم بطليطلة لمخالفة أهلها الحكم، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر. وأصعدت منهم طائفة عظيمة - نحو الخمسة عشر ألفاً - في البحر نحو المشرق حتى انتهوا إلى الإسكندرية، وذلك في أول ولاية عَبْد الله المأمون بن الرشيد، فعازهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم، وبذلوا السيف فيهم، وقتلوا كثيراً منهم وسطوا بهم سطوة منكرة، وملكوا الإسكندرية مديدة. إلى أن ورد عَبْد الله بن طاهر أميراً على مصر من قبل المأمون، فصالحهم على التخلي عنها على مال بذله لهم، وخيرهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي. وكانت يومئذ خالية من

الروم، فاحتملوا إليها بفتنتهم، ونزلوها فاعتمروها، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم.

وحكى ابن حيان، عن أبي بكر ابن القوطية وغيره، أن الحكم غرب في بأساء حربه هذه - عندما حمى وطيسها وأعضل خطبها - بنادرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سمع لأحد من الملوك مثلها: وذلك أنه في مقامه بالسطح، وعند بصره باشتداد الحرب وجثوم الكرب وسماعه قعقعة السلاح وانتماء الأبطال، دعا بقارورة غالية لتدني منه، فتوانى بها عنه خادمه المسمى (يزنت) ظناً منه أنه لهج في منطقه، فصاح به وزجره، - وفي رواية أخرى: فكأن الخادم شك في طلبته واتهم سمعه، فتوقف عن المضي لأمره، فصاح به الحكم: انطلق يا ابن اللخناء فعجل - فجاءه بالقارورة فأفرغها على رأسه ولحيته، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له: وأية ساعة طيب هذه يا مولاي فتستعمله، وقد ترى ما نحن فيه؟ فقال له: أسكت لا أم لك! من أين يعرف قاتل الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو حزه، إن لم يفرق الطيب بينهما؟. ثم استلأم للحرب، وأمر بتفريق السلاح والخيل على أجناده، وأنهضهم لقتال من جاش به، بعد أن كتبهم كتائب قود عليها كباراً من قواده وأهل بيته، فانهزمت العامة بعد قتال شديد، ولم تكن لأحد منهم كرة؛ وكانوا كالدبا كثرة.

قال: ولم ينل الحكم بعد وقيعة الربض حلاوة العيش، وامتحن بعلة صعبة طاولته أربعة أعوام، فلت غربه وأطالت ضناه، واحتجب فيها آخر مدته واستناب ولده عَبْد الرَّحْمَن في تدبير ملكه، فمات على توبة من ذنوبه وندم على ما اقترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين.

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالدفاع عن ملكه والحماية لسلطانه، وهو من أحسن شعر قيل في معناه:

رأبت صدوع الأرض بالسيف راقعاً ... وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعاً

فسائل ثغوري: هل بها اليوم ثغرة ... أبادرها مستنضى السيف دراعاً

وشافه على الأرض الفضاء جماجماً ... كأقحاف شريان الهبيد لوامعا

تنبئـــك أني لم أكـــن في قـــراعهم ... بوآن، وقدماً كنت بالسيف قارعا
وإني إذا حـادوا حـذاراً عـن الـردى ... فلست أخا حيد عن الموت جازعا
حميت ذمـارى فانتهكـت ذمـارهم ... ومن لا يحامى ظل خزيان ضـارعا
ولمـا تـساقينا سـنجال حروبنـا ... سقيتهم سجلاً من الموت ناقعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضـهم ... فلاقـوا منايـا قـدرت ومـصارعا
فهـاك بـلادي إننـي قـد تركتهـا ... مهـاداً، ولم أتـرك عليهـا منازعـا

قال عثمان بن المثنى النحوي المؤدب: قدم بعد الوقعة علينا عباس بن ناصح قرطبة أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم، فاستنشدني شعر الأمير الحكم في الهيج فأنشدته إياه. فلما بلغت إلى قوله:

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضـهم ... فلاقـوا منايـا قـدرت ومـصارغا

قال عباس: لو أن الحكم يخشى للخصومة بينه وبين أهل الربض لقام بعذره فيهم هذا البيت. وفي رواية: إذا كانت الخصومة بينه وبين أهل الربض أجبرته، فإن هذا البيت ليحاجج عنه يوم القيامة.

وله أيضاً في ذلك:

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن ... من اللحن في الأوتار واللهو والردن
إذا اختلفـت زرق الأسـنة والقنـا ... أرتـك نجومـاً يطلعـن مـن الطعـن
بها يهتدي الساري وتنكشف الدجى ... وتستشعر الدنيا لباساً من الأمن
شققت غمار الموت تخطىء مهجتي ... سهام ردى قبلي أصابت ذوي الجبن
إذا لفحت رينح الظهائر لم يكن ... لفاعي فيها غير فيء القنا اللدن
وإن لم يجد حصناً سوى الفر مقدم ... فمالي غير السيف والرمح من حصن
قذفت بهم من فوق بهماء فانزوت ... له الأرض واستولى على السهل والحزن
فسار يروى كل صديان حائم ... وسح كما سحت عزال من المزن

وإن عـن للتيـار مـن سـيلانه ذرى شـاهق أضـحى كمنتفش العهـن
هنـأت بـه حربـاً تقـشع بحرهـا بحمـل هنـاء لـيس يـصلح للبـدن

وله في النسيب:

ظـل مـن فـرط حبـه مملوكـاً ولقـد كـان قبـل ذاك مليكـا
إن بكى، أو شكا الهوى، زيد ظلماً وبعـاداً يـدني حمامـا وشـيكا
تركتـه جـأذر القـصر صـبا مـستهاماً عـلى الـصعيد تريكـا
يجعـل الخـد واضـعاً فـوق تـرب للـذي يجعـل الحريـر أريكـا
هكـذا يحـسن التـذلل في الحـ ـب إذا كـان في الهـوى مملوكـا

وله في خمس جوار من خطاياه، كن مصطحبات فتغاضبن عليه وقتاً في طريق الغيرة وهجرنه:

قضب من البان ماست فوق كثبان ولـين عنـي وقـد أزمعـن هجـراني.
ناشدتهن بحقي فـاعتزمن عـلى ال معصيان، حتى حـلا منهن عـصياني
ملكنني ملـك مـن ذلـت عزائمـه للحـب ذل أسـير موثـق عـان
من لي بمغتصبات الروح مـن بـدني يغصبنني في الهوى عـزى وسـلطاني!

١١ - إدريس بن عَبْد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب[1].

(١) الأعلام ١/ ٢٧٩ وقال الزركلي: إدريس بن عَبْد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الادارسة في المغرب. وإليه نسبتها.

أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين ابن علي بن الحسن المثلث، في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباسي سنة ١٦٩ هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الاقصى سنة ١٧٢ ه، ونزل بمدينة وليلي (على مقربة من مكناس وهي اليوم مدينة قصر فرعون) وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن مُحَمَّد فعرفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بني العباس، فتم له الامر (يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢) فجمع جيشا كثيفا وخرج به غازيا فبلغ بلاد نادلة (قرب فاس) ففتح معاقلها، وعاد إلى وليلي، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها.

ولد لعبد الله بن حسن. وكان شيخ بني هاشم في وقته إدريس الأكبر وأمه هند بنت أبي عبيدة المطلبية، وإدريس الأصغر هذا أمه عاتكة بنت عَبْد الملك بن الحارث المخزومية، وأخواه منها: عيسى وسليمان؛ حكى ذلك أبو علي حسين بن أبي سعيد عَبْد الرَّحْمَن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في كتابه "المعرب عن أخبار المغرب" واختصرته منه. وذكر أن إسحاق ابن عيسى كان على المدينة، فلما مات المهدي وولى موسى الهادي شخص وافداً عليه، واستخلف على المدينة عمر بن عَبْد العزيز بن عَبْد الله بن عمر بن الخطاب، فخرج عليه بها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن العلوي، واستخفى العمري حتى خرج الحسين إلى مكة في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة.

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بني العباس، منهم مُحَمَّد بن سليمان ابن علي، والعباس بن مُحَمَّد، وموسى بن عيسى، وعلى الموسم سليمان بن أبي جَعْفَر؛ فكتب الهادي إلى مُحَمَّد بن سليمان يوليه الحرب، فالتقوا بفخ، وخلفوا عبيد الله ابن قثم بمكة للقيام بأمرها. وكانت الوقعة يوم السبت، يوم التروية، فقتل الحسين القائم وسليمان بن عَبْد الله؛ وانهزم الناس فنودي فيهم بالأمان ولم يتبع هارب، وحزت الرؤوس فكانت مائة ونيفاً.

وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عَبْد الله بن حسن؛ فأما إدريس فلحق بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه، ولم يزل عندهم إلى أن أحتيل عليه؛ وخلف ابنه إدريس بن إدريس، فملكوا تلك الناحية وانقطعت عنهم البعوث.

وأما يحيى فصار إلى جبل الديلم فأقام عند صاحبه، إلى أن شخص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد، فأمنه وحمله إليه.

وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفي مسموما في وليلي. وهو أول من دخل المغرب من الطالبيين.

ومن نسله الباقي إلى الآن في المغرب، شرفاء العلم (العلميون) والشرفاء الوزانيون، والريسيون، والشبيهيون، والطاهريون الجوطيون، والعمرانيون، والتونسيون (أهل دار القيطون) والطالبيون، والغالبيون، والدباغيون، والكتانيون، والشفشاويون، والودغيريون، والدرقاويون، والزكاريون.

وقد قيل: إن إدريس هرب إلى المغرب في أيام أبي جَعْفَر المنصور، عند قتل أخويه مُحَمَّد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة، وأن أبا جَعْفَر بعث إليه من سمه؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادى بالعراق، وبعد عشرة أشهر وأيام منها، وفي آخر خلافة عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة بالأندلس، وقيل وفاته بعامين وأشهر، وأن إدريس وقع إلى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور - وكان رافضياً - فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى أنتهى إلى المدينة وليلى من أرض طنجة، فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر، فلما ولى الرشيد علم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه، ودس إلى إدريس من أنس به واطمأن إليه، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سمَّه.

واختلف فيمن سمَّ إدريس وما سم فيه. فقيل: الشماخ المشماسي مولى المهدي سمَّه في سنون سقطت منه أسنانه لما استعمله ومات من وقته، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله. وقيل: جعل سليمان بن جرير الرقي كان سبب سمه، وكان إدريس به واثقاً فأتي من قبله، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك، وطلب ففات.

ويقال: إن سليمان هذا - وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين - ناظر إدريس يوماً في شيء فخالفه، ثم دخل الحمام، فلما خرج بعث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها، فشكا بطنه وقال: أدركوا سليمان! فأدرك، وقيل له: أجب! فامتنع، فضرب على وجهه بسيف، وضرب أخرى على يده فانقطعت أصبعه، وأفلت. وقيل: سم في طيب تطيب به. وولده وأهل بيته يقولون: إنما سم في بطيخة. وهم وإن اختلفوا في الشيء الذي سم به، فهم مجمعون على أنه مات مسموما. ومن شعره:

ألـيس أبونـا هاشـم شـد أزره ... وأوصى بنيـه بالطعـان وبالـضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نتشكى ما يهول من النكب

١٢ – ابنه إدريس بن إدريس بن عَبْد الله، أبو داود[1].

قال أبو الحسن علي بن مُحَمَّد النوفلي: توفي إدريس بن عَبْد الله وجارية من جواريه حبلى أسمها (كنزة)، فقام راشد مولاه – ويقال: إنه مولى أخيه عيسى بن عَبْد الله، وهو الذي خرج به حتى أقدمه المغرب – بأمر البربر إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه إدريس، وقام بأمره حتى بلغ الغلام وأدبه؛ وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة.

وتوفي راشد سنة ست وثمانين، فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن إلياس، وأخذ بيعة البربز له يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين، وهو ابن إحدى عشرة سنة. وأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين، وخرج إلى نفيس في المحرم سنة سبع وتسعين، ثم غزا نفزة وتلمسان وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة: سم في حبة عنب فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات.

وعن غير النوفلي: أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله.

وعامة من في المغرب من الحسنيين من ولد إدريس هذا، ومنهم بنو حمود الخلفاء في قرطبة بعد الأربعمائة.

---

(١) الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٤، وقال الصفدي: كان أخوه قد ولي الإمامة بعد أبيه. قال أبو هاشم صاحب شرطة إدريس بن إدريس، قال لي يوماً: اخرج بنا إلى ساحل البجر لنصلّ فخرجنا. فقام يصلّي. وقمت ناحيةً فأقبل نفر نحونا فقال: ياداود هؤلاء إباضية يعني خوارج جاءوا ليغتالوني.

قلت فأنا لهم قال: لا. أنا، فأخذ السيّف والدرقة وقصدهم فقتل منهم سبعة فأدبر الباقون فرجع إليّ فأعطاني السيف وقال:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نملّ الحرب حتى تملّنا... ولا نتشكّى ما نلاقي من النكب

وحصلت لإدريس مملكة سنية وخطب لنفسه بالخلافة وكان فصيحاً شاعراً ومن شعره مارثى به أباه إدريس

وذكر أبو بكر الرازي: أن إدريس بن عَبْد الله دخل المغرب سنة اثنتين وسبعين في شهر رمضان هارباً بنفسه من أبي جَعْفَر؛ فنزل موضعاً يقال له: (وليلي) بوادي الزيتون، فاجتمعت إليه قبائل من البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس؛ وكانت أجمة شعراء، ولما احتفرت أساساتها ألفى في بعضها فأس فسميت بمدينة فاس وسكنها البربر، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة. وترك جارية حاملا منه، فولدت بعده ابناً سمى بإدريس ابن إدريس، ملك بعد أبيه مدين فاس وطالت مدته، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين، ومولده في شهر ربيع الآخر سنه خمس وسبعين. كذا قال الرازي، وقد تقدم التنبيه على غلط القائل بدخول إدريس المغرب في خلافة أبي جَعْفَر المنصور.

ومن شعر إدريس بن إدريس يخاطب البهلول بن عَبْد الواحد المدغري، ذاهباً إلى مراجعة طاعته ومحذراً مكر إبراهيم بن الأغلب، وهو الذي كان أفسده عليه حتى قاتله البهلول:

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب ... وما قد رمى بالكيد كل بلاد

ومن دون ما منتك نفسك خالياً ... ومناك إبراهيم خرط قتاد

وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته، ويذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي أسفل كتابه:

أذكر إبراهيم حق مُحَمَّد ... وعترته والحق خير مقول

وأدعوه للأمر الذي فيه رشده ... وما هو لولا رأيه بجهول

فإن آثر الدنيا فإن أمامه ... زلازل يوم للعقاب طويل

وله يتشوق أهل بيته:

لو مال صبري بصبر الناس كلهم ... لضل في روعتي أو ضل في جزعي

وما أريع إلى يأس ليسليني ... إلا [.....][1] يأمس إلى طمع

وكيف يصبر مطوى هضائمه ... على وساوس هم غير منقطع

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

إذا الهمـوم توافـت بعـد هجعتـه ... كـرت عليـه بكـأس مـرة الجـرع
بـان الأحبـة واسـتبدلت بعـدهم ... همـاً مقـيماً وشـملاً غـير مجتمـع
كـأنني حـين يجـري الهـم ذكـرهم ... عـلى ضـميري مخبـول مـن الفـزع
تأوى همـومي إذا حركـت ذكـرهم ... إلى جـوانح جـسم دائـم الولـع

١٣ - عَبْد الملك بن عمر بن مَرْوَان بن الحكم، أبو مَرْوَان، وقيل: أبو الوليد[1].

قعيد جماعة آل مَرْوَان في وقته وفارسهم وشهابهم. قدم من مصر على عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة في سنة أربعين ومائة، أول ولايته بالأندلس، وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان، فولاه إشبيلية، وولى ابنه عَبْد الله مورور، وأغنى في حرب يوسف بن عَبْد الرَّحْمَن الْفِهْرِيّ عند نكثه وفراره من قرطبة حتى قتل.

وقيل: كان والياً على ماردة، وابنه على لقنت. ولما زحف أهل حمص إلى عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة يطلبونه بثأر أبي الصباح اليحصبي - وكان قد طاح على يديه - أبلى عَبْد الملك هذا بلاء حسنا، وقتل ولده أمية صبراً لما انحاز إليه منهزما: قدمه فضرب عنقه، فهابه الجند وشدوا معه ومع سائر بنيه، فكانت الدبرة على أهل حمص ومن معهم، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاه له، وأجلت الحرب عنه جريحاً فأحظاه عَبْد الرَّحْمَن. وقيل: بل قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الْفِهْرِيّ حين انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف، ولم تقم له بعد قائمة، فأحظاه عَبْد الرَّحْمَن وقدمه واستوزر بنيه عَبْد الله وإبراهيم وحكماً، وزوج ابنته كنزة من ابنه هِشَام ولي عهده، فقال عَبْد الملك في ذلك من قصيدة طويلة:

فـيا زمنـاً أودى بـأهلي ومعـشري ... لقـد صرت في أحـشائنا لاذعـاً جمـرا

---

(١) الأعلام ٤/ ١٦١، وقال الزركلي: عَبْد الملك بن عمر بن مَرْوَان بن الحكم: أمير، قال فيه ابن الابار: قعيد جماعة آل مَرْوَان في وقته، وفارسهم وشهابهم. هبط الاندلس قادما من مصر سنة ١٤٠ هـ فولي إشبيلية. وكان من أعضاد عَبْد الرَّحْمَن الداخل ومؤازريه، فتحت على يديه فتوح، وأحظاه عَبْد الرَّحْمَن واستوزر بنيه وزوج ابنته "كنزة" من ابنه هِشَام ولي عهده.

ويزداد دهر السوء غشا وظلمة ... كأن على شمس الضحى دوننا سترا
إلى أن بدا من آل مَرْوَان مقمر ... أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرا
هجان أصيل الرأى ندب مهذب ... أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرا
وأنبت آمالاً وأثبت نعمة ... وجئنا فألقينا الكرامة والبرا
أنال وأغنى منعماً متفضلاً ... وأصفى لنا مأمول أيناته صهرا
فنحن حواليه النجوم تجمعت ... إلى البدر حتى صرن من حوله حجرا

ومنها يذكر زفاف ابنته كنزة هذه:

لعمري لقد أهديت بيضاء حرة ... إلى خير من أغلى بأثمانها المهرا
لها حسب يأبى على كل مقرف ... ويرضى لها تلك الخضارمة الزهرا
وآل أبي العاص هم نظراؤها ... فأكرم بشمس أنكحت قمراً بدرا

١٤ - عَبْد الملك بن بشر بن عَبْد المَلِك بن بشر بن مَرْوَان بن الحكم[1].

كان أبوه بشر من أمراء الأموية، فقتله أبو جَعْفَر المنصور مع يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري آخر عمال بني أمية على العراق، ونجا ابنه عَبْد الملك هذا في قل القوم إلى المغرب، فقصد الأَنْدَلُس، ودخلها في صدر أيام الأمير عَبْد الرَّحْمَن ابن مُعَاوِيَة، مع ابن عمه جزي بن عَبْد العزيز بن مَرْوَان أخي عمر بن عَبْد العزيز، وسكن جواره بقرطبة، ويعرف بالبشري. وهو القائل في مقتل أبيه:

لست أنسى مصرعاً من والد ... سيد ضخم وعم مفتقد
غادرته الخيل في معترك ... بين عم وأب زاك وجد
تسهك الريح عليه بالضحى ... وتعفيه أعاصير الأبد
لم يرد الموت عنه إذ سما ... نحوه كثرة مال وعدد
أموي حكمي عرفت ... سورة المجد له عليا معد

---

(١) الإكمال ٣/ ١٤٢.

عـاش في ملـك عزيـزاً دونـه حجـب الملـك وأبـواب الرصـد
فأنتحتـه بالمنايـا فثـوى لعـوافي الطـير مسلوب الجسد

وله:

يـا معشر شغف الطعام قلوبهم فهـم طـماح نحـو كـل دخـان
يهـدي لـواءهم ويحمـل بنـدهم في كـل معـترك أبـو سـعدان
يمشي كمشي الليث راح عشية مـن غابـه وأمامـه شـبلان
لـو يعـرض الخطى دون وليمة مشروعة في صـدره لطعـان
لمضى بـصادق نيـة وبـصيرة فيهـا وقلـب مشيع شـيحان
حتـى يغيـب في الثريـد ذراعـه ويجوسـها بأشـاجع وبنـان

وله:

وينفسي مـن عندها اليوم قلبي علـق في حبالهـا معمـود
كلـما قلـت قـد تناهيـت عنهـا عـادني مـن غرامهـا مـا يعـود
فبقلبـي مـن لاعـج الحب منهـا كـل يـوم سـقم وحـزن جديـد

١٥ - حبيب بن عَبْد الملك بن عمر ابن الوليد بن عَبْد الملك ابـن مَـرْوَان، أبـو سليمان[1].

كان بالأندلس في سلطان عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، وكانت له منه خاصة لم تكن لأحد من أهل بيته، وولاه طليطلة وأعمالها؛ وهو القائل يخاطبه مغرياً بأبي الصباح عليه:

يـا ابـن الخلائـف إني ناصـح لكـم في قتـلِ ذي إحـن يرتـاد للـنقم

---

(١) الأعلام ٢/ ١٦٦، وقال الزركلي: حبيب بن عَبْد الملك بن عمر بن الوليد ابن عَبْد الملك بـن مروان: أمير أموي.

كان بالاندلس في أيام عَبْد الرَّحْمَن (الداخل) وكانت له منه خاصة لم تكن لاحد من أهل بيته. وولاه طليطلة وأعمالها، ومات في حياة (الداخل) فشهد جنازته.

لا يفلتنـــك فيأتينـــا ببائقـــة وأشـدد يـديك بـه تـبرأ مـن السقم

جلله عضباً مـن الهنـدي ذا شـطب إن الـصرامة فيـه فعلـة الكـبرم

ذكر ذلك ابن حيان، وقيل: إن هذا الشعر لعبد الملك بن عمر بن مَرْوَان ابن الحكم.

وتوفي حبيب هذا في أيامه، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده، فلما صلى عليه قعد وهو يواري، فالتفت عَبْد الرَّحْمَن فرأى ولده هشاماً قاعداً ناحية قد في قعوده، فقال: ما هذا يا أبا الوليد؟ أيدفن عمك وخير أهل بيتك وأنت قاعد؟ قم وأشدد نطاق الحزن عليك، فلن ترى في قومك مثل أبي سليمان، فقام.

وكان حبيب من الذين يشاورهم في رأيه وإدراته عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة ويدني مجالسهم منه ويضمه إلى خاصته من نقباء دولته وسائر أصحابه ومواليه.

نرجع إلى ذكر الأمراء من غير الهاشمية والأموية على الترتيب كما شرطنا في صدر الكتاب:

١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي، أبو الخطار بالراء[1].

ولي إمارة الأَنْدَلُس في سنة خمس وعشرين ومائة، من قبل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والي إفريقية لهشام بن عَبْد الملك ثم للوليد بن يزيد بن عَبْد الملك. وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان الكلبي أخي حنظلة، ويقال: إن أهل الأَنْدَلُس

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر رواة الأندلس ١/ ٧٢، وقال الحميدي: ذكره الكلبي في جمهرة النسب فقال: حسام بن ضرار الكلبي من ربيعة بن حصن بن ضمضم بن طفيل بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم ابن عدي بن جناب بن هبل بن عَبْد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة؛ يكنى حسام أبا الخطار، كان أمير الأندلس وليها بعد قتل أميرها عَبْد الملك بن قطن، وبعد الاختلاف الواقع في الأمر بعده في أيام هِشَام بن عَبْد الملك من قبل حنظلة بن أبي صفوان أمير إفريقية وما والاها، فوردها في وقت فتنة وقد افترق أهلها على أربعة أمراء، فدانت الأندلس له، وخمدت الفتنة به، وفرق جموعها، وأخرج عنها من كان سببها؛ وكان أبو الخطار من أشراف قبيلته المذكورين منهم، وقد حضر القتال في أيام فتوح المسلمين إفريقية، وكان فارس التامس بها.

الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والي إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند أختلافهم والياً يجتمعون عليه، فبعث أبا الخطار هذا، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم، فأطاعه أهلها واجتمعوا عليه، ودانت له الأَنْدَلُس جمعاء إلى ولاية مَرْوَان بن مُحَمَّد بن مَرْوَان آخر خلفاء بني أمية.

ولم يقدم في ولايته الأَنْدَلُس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البدو عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم. وتوسع لهم في البلاد: فأنزل في كورتي أكشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول، وأنزل باقيهم في كورة تدمير؛ وأنزل في كورتي لبلة وإشبيلية جند حمص مع البلديين الأول أيضا؛ وأنزل في كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين؛ وأنزل في كورة رية جند الأردن؛ وأنزل في كورة إلبيرة جند دمشق؛ وأنزل في كورة جيان جند قنسرين؛ وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة.

وبقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها، فلما رأوا بلاداً كبلادهم خصباً وتوسعة سكنوا واغتبطوا وتمولوا:

وطالعتا موسى بن نصير وبلج بن بشرهما اللذان يعرفان بالأَنْدَلُسِ بالجندين.

ثم لم يلبث أبو الخطار – مع مكانه من السداد – أن تعصب لليمانية وفضلهم على المضرية، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب الأَنْدَلُس في قصص طويلة، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، بعد أربع سنين وتسعة أشهر من ولايته؛ وقيل: كانت ولايته سنة اثنتين وعشرين. ومن شعره:

أفأتم بني مَرْوَان قيساً دماءنا ... وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل

ويروي: أفاءت بنو مَرْوَان، والأول أولى.

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

وقيناكم حر القنا بنحورنا ... وليس لكم خيل سوانا ولا رجل

فلما بلغتم نيل ما قد أردتم ... وطاب لكم منا المشارب والأكل

تعـــاميتم عنـــا بعـــين جليـــة ... وأنتم كـذا مـا قـد علمتـا لهـا فعـل

فـلا تـأمنوا إن دارت الحـرب دورة ... وزلـت عـن المرقـاة بالقـدم النعـل

فينـتقض الحبـل الـذي قـد فتلـتم ... ألا ربـمـا يلـوى فينـتقض الحبـل

قال أبو الخطار: هذا الشعر، لأن هِشَام بن عَبْد الملك ولى عبيدة بن عَبْد الرَّحْمَن - ابن أخي أبي الأعور السلمى صاحب خيل مُعَاوِيَة بصفين - إفريقية، وصرف بشر بن حنظلة الكلبي، فوجدت لذلك اليمانية. ويقال: إنه قدم القيروان - ولم يكن عليها إذ ذاك سور - فألقى بشر بن صفوان قد تهيأ لشهود الجمعة ولبس ثيابه، فقيل له: هذا الأمير قد قدم، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله! هكذا تقوم الساعة، فما حملته رجلاه. ودخل عبيدة بن عَبْد الرَّحْمَن فجمع بالناس.

وقيل: إنه لما تتابع ولاة إفريقية والأندلس من قيس، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط، وما كان من بلاء كلب فيه مع مَرْوَان ابن الحكم، وقيام القيسية مع الضحاك بن قيس الْفِهْرِيّ أمير عَبْد الله بن الزُّبَيْر. فلما بلغ الشعر هِشَام بن عَبْد الملك سأل عن قائله فأُعلِمَ أنه رجل من كلب، وكان هِشَام قد ولى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور، فكتب إليه يأمره أن يولي أبا الخطار الأَنْدَلُس. وهو الرابع عشر من ولاتها، ثم ولى بعده ثوابة بن سلامة الجذامي، ثم يوسف بن عَبْد الرَّحْمَن الْفِهْرِيّ - وكان خلعه بعبد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة. وأنشد الحميدي في تاريخه الشعر، وقال فيه: أفادت بنو مَرْوَان، وقال: (إن لم تعدلوا)، وقال: (وقيناكم حد القنا بسيوفنا) ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده:

فلما رأيتم واقد الحرب قد خبا ... وطاب لكم فيها الشارب والأكل

تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم ... صديقاً، وأنتم ما علمت لها فعل

فلا تعجلوا إن دارت الحرب دورة ... وزلت عن المهواة بالقدم النعل

ولم ينشد البيت الأخير.

وقال أبو الخطار أيضا يخاطب الصميل بن حاتم الكلابي، رئيس المضرية ورأس المتعصبين معها على اليمانية في ولاية يوسف بن عَبْد الرَّحْمَن الْفِهْرِيّ:

إن ابن بكر كفاني كل معضلة ... وحط عن غاربي ما كان يؤذيني

إذا اتخذت صديقاً أو هممت به ... فاعمد لذي حسب إن شئت أو دين

ما يقدر الله في مالي وفي ولدي ... لابد يدركني لو كنت بالصين

وأنشد له الحميدي:

فليت ابن حواس يخبر أنني ... سعيت به سعي امرىء غير غافل

قتلت به تسعين تحسب أنهم ... جذوع نخيل صرعت بالمسايل

ولو كنت الموتى تباع أشتريته ... بكفي، وما استثنيت منها أناملي

وحكى أبو علي الحسين بن أبي سعيد عَبْد الرَّحْمَن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في الكتاب "المعرب عن أخبار المغرب" من تأليفه: أن عبيدة بن عَبْد الرَّحْمَن لما قدم القيروان أخذ عمال بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم. وكان فيهم أبو الخطار، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إلى الأبرش الكلبي، فدخل بها على هِشَام بن عَبْد الملك بن مَرْوَان فأنشدها، فغضب هشام. وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية. قال أبو علي: وهذا الشعر مشهور بالمشرق كشهرته بالمغرب؛ ذكره صاحب كتاب "الخصال" وجاء به بعض المؤلفين في اختياره، وأتى به أبو الحسن المدائني، وقال: لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي هِشَام بن عَبْد الملك غضب وشتم عبيدة وقال: قبح الله ابن النصرانية! وعزله.

١٧ - الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي، أبو جوشن[1].

---

(١) الأعلام ٣/ ٢٠٩، وقال الزركلي: الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي: شيخ المضرية في الاندلس، وأحد الامراء الدهاة الشجعان الاجواد.

قدم الاندلس في أمداد الشام أيام بني أمية، فرأس بها.

كان جده شمر من أشراف عرب الكوفة، وهو أحد قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما، والذي قدم برأسه على يزيد بن مُعَاوِيَة. وقتل المختار بعد ذلك – حين قام ثائراً بقتلة الحسين – جماعة منهم، فهرب شمر بولده وعياله ولحق بالشام فأقام بها في عز ومنعة.

وقد قيل: إن المختار قتل شمراً وفر ولده إلى أن خرج كلثوم بن عياض القشيري غازياً إلى المغرب، فكان الصميل ممن ضرب عليه البعث في أشراف أهل الشام، ودخل الأَنْدَلُس في طاعة بلج بن بشر فل أصحاب كلثوم.

وكان شجاعاً، نجداً، جواداً، كرياً. وهو الذي قام بأمر المضرية في الأَنْدَلُس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي العصبية لليمانية، إلا أنه كان رجلا أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكانت له في قلب الدول وتدبير الحروب أخبار مشهورة.

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه مر بمعلم يتلو: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فوقف يتفهم، وكان أمياً لا يقرأ، وتادى المعلم: يا هناه! كذا نزلت هذه الآية؟ قال: نعم، قال: فأرى والله أن سيشركنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة.

وغلب على أمر يوسف بن عَبْد الرَّحْمَن الْفِهْرِيّ في ولايته، وكان معه في حربه لعبد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة بعد أن ولاه مدينة سرقسطة ثم طليطلة؛ وهو القائل عندما أغار الطائيون على داره بشقندة يوم المصارة عند انهزام الفهري واستخلاف عَبْد الرَّحْمَن:

ألا إن مالي عند طي وديعة ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

سلوا يمناً عن فعل رمحي ... ومنصلي فإن سكتوا أثنت على الوقائع

أنشدهما أبو بكر الرازي في تاريخه.

= وأساء إليه عاملها أبو الخطار، فثار أصحاب الصميل وقبضوا على أبي الخطار، وولوا ثوابة ابن سلامة، ثم غيره، والسلطة والنفوذ للصميل. وأقام على ذلك إلى أن دخل الاندلس عَبْد الرَّحْمَن الاموي، فمات الصميل في سجنه. وكان أمياً، وله شعر

وتوفي الصميل في سجن عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة سنة اثنتين وأربعين ومائة.

١٨ - الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، أبو جَعْفَر[1].

كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم وحارب معه عَبْد الله بن علي، وكان مع أبي جَعْفَر المنصور في حصار ابن هبيرة وفي قتل أبي مسلم، ويقال: إنه الذي ضربه فأطار يده، ثم تولى حز رأسه؛ ووجهه أبو جَعْفَر المنصور مع مُحَمَّد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر. وهو أول قدومه إلى إفريقية، وكان عامل مصر، وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة. فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون قائداً من تحت يدا ابن الأشعث، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام - وقيل: ألفان فقط من الشام. وقال المنصور: إن حدث به حدث كان الأغلب أميرهم بعده. فولى طبنة إلى أن خرج ابن الأشعث من القيروان في شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين -وكان قد بنى سور القيروان- فبعث أبو جَعْفَر إلى الأغلب عهده بولاية القيروان، فاستقامت له الأمور. ثم اضطربت بعقب ذلك لخروج أبي قرة البربري عليه واشتغاله بحربه، وخرج الحسن ابن حرب الكندي عليه، وخاطب القواد مضرياً فلحق به منهم جماعة وهو بتونس، فأقبل إلى القيروان فدخلها. وبلغ الخبر الأغلب فأقبل في عدة يسيرة ممن أطاعه، وكتب إلى الحسن:

ألا من مبلغ عني مقالا ... يسير به إلى الحسن بن حرب

فإن البغي أبعده وبال ... عليك وقربه لك شر قرب

فإن لم تدعني لتنال سلماً ... وعفوي فأدن من طعني وضربي

---

(١) الأعلام ١/ ٣٣٥، وقال الزركلي: الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي: أمير، من الشجعان القادة. جد (الاغالبة) ملوك إفريقية، وأول من وليها منهم.

كان مع أبي مسلم الخراساني حين قيامه بالدعوة العباسية. ورحل إلى إفريقية مع مُحَمَّد بن الاشعث. ثم ولاه المنصور (العباسي) الامارة بافريقية سنة ١٤٨ هـ، فأقام في القيروان، ووطد الامور.

وانصرف يريد قتال الصفرية، فبايع أهل تونس للحسن بن حرب الكندي ودخل بهم القيروان، فعاد إليه الاغلب فقاتله. واستمرت الحرب بينهما إلى أن أصاب الاغلب سهم قتله، بقرب تونس.

فقصد الحسن الأغلب، فاقتتلوا قتالا شديداً انهزم الحسن عنه وكر راجعاً إلى تونس، ودخل الأغلب القيروان. ثم زحف الحسن إليه ثانية، وخرج الأغلب من باب أصرم فتواقف الفريقان، فبرز الأغلب وقال:

أغـــدو إلى الله بـــأمر يرضـــاه ... لا خـــــــــــير في.....

إن يهـــوني المـــوت، فـــإني أهـــواه ... كـــل أمـــرى يلـــق يومـــاً.....

ثم شد على الميمنة في أصحابه، فكشفها، وانصرف إلى موقفه وهو يقول:

أضرب في القـــــوم ومثلي يضرب

فإن يكن حربـــــــاً فإني الأغلب

لا أجزع اليـــــــوم ولا أكذب

ثم شد على الميسرة، ففعل مثل فعله في الميمنة، وانصرف وهو يقول:

لم يبـــق إلا القلـــب أو أمـــوت ... إن تحـــم لي الحـــرب فقـــد حميـــت

وإن توليت فما بقيت ثم حمل على القلب، فلم يثن حده، حتى قتل بسهم رمى به، وذلك في شعبان سنة خمس ومائة.

وبلغ المنصور موته فقال: إن سيفي بالمغرب قد انقطع، فإن دفع الله عن المغرب بريح دولتنا وإلا فلا مغرب. وقال الحكم بن ثابت السعدي من ولد سلامة بن جندل يرثي الأغلب:

لقـد أفسد المـوت الحيـاة بأغلـب ... غداة غـدا للمـوت في الحـرب معلـما

تبـدت لـه أم المنايـا فأقـصدت ... فتى حين يلقى الموت في الحرب صمما

أخـا غـزوات مـا تـزال جيـاده ... تـصبح عنـه غـارة حيـث يمـما

أتتـه المنايـا في القنـا فـافتر منـه ... وغادرنـه في ملتقـى الخيـل مسلما

كـأن عـلى أثوابـه مـن دمائـه ... عبيطـاً، وبالخـدين والنحـر عنـدما

فبـات شـهيداً نـال أكـرم ميتـة ... ولم يبـغ عمـراً أن يطـول ويسقما

١٩ - الحسن بن حرب الكندي[١].

كان بتونس، فقام على الأغلب بن سالم - حسبما تقدم خبره - وخالفه وسار إلى القيروان فلم يدفعه أحد عنها حتى دخلها. وبلغ أبا جَعْفَر المنصور تنازعهما، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة. وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية؛ وهو القائل يجيب الأغلب عن أبياته المذكورة قبل:

ألا قولا لأغلب غير سر ... مغلغلة عن الحسن بن حرب

بأن الموت بينكم وبيني ... وكأس الموت أكره كل شرب

رويدكم، فيومكم ويومي ... وإن بعدا مصيرهما لقرب

ثم تقاتلا بعد ذلك، فقتل الأغلب وصاح صائح: مات الأمير!. وكان سالم بن سوادة التميمي في الميمنة، وهو ابن عم الأغلب، فقال: لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم. ووقع في عسكر الحسن الصياح: مات الأمير! فظن أن الحسن هو المقتول، فولوا منهزمين، وركبهم سالم بن سوادة والمخارق بن غفار الطائي بالسيف، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة، وأتبع هو فقتل بتونس. ويقال: إنه أتوا به مقتولا إلى القيروان، فصلبه المخارق يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة.

٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو خالد[٢].

---

(١) الأعلام ٢/ ١٨٧، وقال الزركلي: الحسن بن حرب الكندي: ثائر شاعر من الشجعان. من أهل تونس. خرج على أمير إفريقية الاغلب بن سالم حين أراد أن يطارد أبا قرة الصفري الخارجي، إلى المغرب. والتف حوله كثير من الجند.

فقاتله الاغلب في القيروان وأصابه سهم قتله. واشتد قواد الاغلب على الحسن فانهزم إلى تونس ومنها إلى جهة بقربها فقبضوا عليه وقتلوه.

(٢) الأعلام ٨/ ١٨٠، وقال الزركلي: يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبي صفرة الازدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان في العصر العباسي.

ولي إفريقية في خلافة أبي جَعْفَر المنصور، فأصلحها ورتب أمر القيروان وجدد أمر المسجد الجامع. وكان غاية في الجود ممدحاً، كثير الشبه بجده المهلب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه، خاصاً بأبي جَعْفَر المنصور، وكان لا يحجب عنه. وولي ولايات كثيرة قبل قدومه إلى المغرب، منها: أرمينية، والسند، ومصر، وأذربيجان وغير ذلك.

وقدم إفريقية من مصر - وكان والياً عليها - في ذي الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين. وحكى عنه أنه قال: لما ولاني أبو جَعْفَر دخلت عليه فقال لي: يا أبا خالد، بادر النيل قبل خروج الرايات الصفر وأصحاب الدواب البتر.

ثم استقدمه - بعد أن قتل عمر بن حفص المهلبي - فولاه إفريقية والمغرب وشيعه إلى فلسطين، فحسده الأمراء والرؤساء. وكان المنصور يقول: ما أخطأت في شيء من تدبيري إلا في ثلاثة أشياء: تشييع يزيد بن حاتم.. أرأيت لو نكث، أكان يحسن بي أن أرجع، أو كان يحسن بي أن ألقى الجيش بنفسي؟ ويوم الراوندية وقوفي على باب الذهب.. أرأيت لو أن رجلا رماني بسهم، أليس دمي كان يذهب ضياعاً؟ وقتلي أبا مسلم وأنا في الخرق، ومعه أهل خراسان ثلاثون ألفاً يعبدونه من دون الله.

وفي يزيد هذا يقول ربيعة بن ثابت الرقي من بني أسد - وقد وفد عليه - أبياته السائرة في الناس إلى اليوم:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر بن حاتم

يزيد سليم سالم المال، والفتى ... أخو الأزد للأمـ ـال غير مسالم

= ولي الديار المصرية سنة ١٤٤هـ للمنصور، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ ثم ولاه إفريقية سنة ١٥٤ فتوجه إليها وقاتل الخوارج واستقر واليا بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، قضى في خلالها على كثير من فتن البربر وغيرهم. وتوفي بالقيروان. وكان جوادا ممدوحا شديد الشبه بجده " المهلب " في الدهاء والشجاعة. وهو الذي يقول فيه ربيعة الرقي:

" لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم، والاغر ابن حاتم ".

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهُم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فضلت أهل المكارم

يريد بالتمتام - وهو المتردد في التاء - يزيد بن أسيد السلمي. سماه المبرد، وهي من قصيدة حسنة يقول فيها:

أبا خالد أنت المنوه باسمه ... إذا نزلت بالناس إحدى العظائم

كفيت بني العباس كل عظيمة ... وكنت عن الإسلام خير مزاحم

ويقال: إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ بره وصلته فقال:

أراني ولا كفران لله راجعاً ... بخفي حنين من يزيد بن حاتم

فبلغ ذلك يزيد، فدعا به وقال: أنزعوا خفيه، فنزعا وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين، فملأهما له دراهم ودنانير - وكانا كبيرين كأخفاف الجند - ثم وصله بعد ذلك بصلات جزيلة. وهذه القصة شبيهة بقصة أبي العتاهية مع عمر بن العلاء حين أمتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إني أمنت من الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... لحذوا له حر الخدود نعالا

ما كان هذا الجود حتى كنت يا ... عمر، ولو يوماً تزول لزالا

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسباً ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة ... وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

فتأخر عنه بره قليلا، فكتب إليه يستبطئه:

أصابت غلينا جودك العين يا عمر ... وعز لما نبغي التمائم والنشر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فإن لم تفق منها رقيناك بالسور

وقال أيضا:

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس ... إني لأطريك في صحبي وجلاسي

أثنـي عليـك ولي حـال تكـذبني فـيما أقـول فأسـتحيي مـن النـاس

حتى إذا قيل: ما أعطاك من صفد؟ طأطأت، من سوء حالي عندها رأسي

فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال، وقال: لا تدخله علي فإني أستحي منه. وروى أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم، فحسدته الشعراء وقالوا: لنا بباب الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا، فاتصل ذلك به فأمر بإحضارهم وقال: قد بلغني الذي قلتم. وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها، فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته. وإن أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة، ثم قال: إن المطايا تشتكيك، وأنشد الأبيات.

ومن شعر يزيد بن حاتم:

ما يألف الدرهم المضروب خرقتنا. إلا لمامـاً قلـيلا، ثـم ينطلـق

يمـر مـراً عليهـا وهـي تلفظـه إني امـرؤ لم يحـالف خرقتـي الـورق

وتوفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة.

٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب[1].

ولاه الرشيد إفريقية، فقدم على القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة، ويقال: إنه لم يل إفريقية أجل منه ومن أبي العباس عَبْد الله بن إبراهيم ابن الأغلب.

واستعمل على تونس المغيرة بن بشر بن روح ابن أخيه، وكانت تونس نظيرة القيروان حتى إن أبا جَعْفَر المنصور كان يقول: ما فعلت إحدى القيروانين؟ يعني: تونس.

وكان المغيرة غراً لا تجربة له بالأمور ولا معرفة بتصاريفها، فاستخف بالجند وسار فيهم بما أنكروه، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يعزله عنهم، فقدموا - في قصة طويلة - عَبْد الله بن الجارود العبدي وأخرجوا المغيرة.

---

(١) الأعلام ٥/ ١٤٩، وقال الزركلي: الفضل بن روح بن حاتم المهلبي الازدي: أمير. استعمله الرشيد العباسي على إفريقية، فقدمها سنة ١٧٧ هـ، ولم يحسن السيرة في أهلها، فنبذوا الطاعة وقاتلوه إلى أن قتلوه في القيروان. وولايته سنة وخمسة أشهر. وبمقتله انقرضت دولة "المهلبيين" بافريقية، وكانت مدتها نحو ٢٣ سنة.

وكتب ابن الجارود إلى الفضل: إلى الأمير الفضل بن روح من عَبْد الله ابن الجارود. أما بعد؛ فإنا لم نخرج المغيرة إخراج خلاف عن الطاعة، ولكن لأحداث فيها فساد الدولة. فول علينا من نرضاه، وإلا نظرنا لأنفسنا. وواسنا بالأسلاف كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك، وإلا فلا طاعة لك علينا. وكتب في أسفل الكتاب:

ألا من مبلغ الفضل بن روح ... وصدق القول زين للرجال
بأنك حين وليت ابن بشر ... علينا غير محمود الفعال
فول سواه أو كن رهن حرب ... تغص بها على الماء الزلال
وإن لم تعطنا الأسلاف طوعاً ... أحبيت لها بكره بالعوالي

فأجاب الفضل عن ذلك يرميهم بالخلاف، ويوئسهم من الأسلاف، وكتب في آخر كتابه:

أتاني عنك ما ستنال منه ... وبالاً إن عضيت على العقال
فإن ترجع تنل سلماً وأمناً ... وإن تجمح فلست بمستقال
وإن لمن أطاع عليك فضلا ... كفضل يد اليمين على الشمال
ولست بمدرك الأسلاف حتى ... تناولهن قسراً بالعوالي

ثم بعث عَبْد الله بن يزيد المهلبي والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه. فأخرج ابن الجارود جماعة يختبرون ما قدموا له، ونهاهم عن الحرب. فلقوهم بسبخة تونس فقتل عَبْد الله - في خبر يطول ذكره - وأسر القواد اللذين معه. وأدى ذلك إلى محاربة الفضل بالقيروان، فغلب عليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة، وسير في أهل بيته، ثم استرجع من طريقه وهو متوجه إلى قابس، فحبس مع رجلين من أصحابه، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه. ومن شعر الفضل:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة ... ونصفاً أرجي قابلاً يعد قابل
فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ... ولا في الذي أهوى كدحت بطائل

وقد أشرعت فينا المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت معاجل

٢٢- سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبي.

لما عظم على الفضل بن روح أمر ابن الجارود وخروجه عليه بتونس وزحفه إليه، جمع أهل بيته وقال: ما ترون في هذا الأمر الذي لا يخصني دونكم؟ فكثرت الآراء، فقال ابن عمه سعيد: أطعني اليوم واعصني فيما يستأنف. سد أبواب المدينة كلها إلا باباً واحداً، وندخل ما يحتاج إليه الحصار سنة. فو الله لكأني أنظر - إن لم تفعل ذلك - قد دخل عليك من آمنها عندك. وقال في ذلك يخاطب الفضل:

أرى الحرب قد مدت إلينا بساقها وقلبك يقظان شبيه بنائم
فخذ لنهود الحرب أهبة يومها وشمر لها الأذيال قبل التنادم
فإن كنت تحمي الغرب فأشدد لها القوى تنل ظفراً، أو تلق موت الأكارم
فليس يريد القوم إلا نفوسنا أو النفي عنها يا ابن روح بن حاتم

وقال أيضا:

ألا قل لفضل إنني لك ناصح فلا تسمعن مما يشير ابن واقد
فإنك إن تسمع لأقواله تعد إلى أسد في كبة الخيل لابد
ستذكر قولي حين ليس بنافع إذا شقت الأرماح نحر القلائد

فخالفه الفضل فكان ما تقدم من أمره.

٢٣- أخوه عَبْد الله بن يزيد بن حاتم[1].

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية، ثم قرف عنده بمسألة عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبدويه، فنعل صدر الفضل عليه حتى كتب إليه:

---

(١) الأعلام ٤/ ١٤٦، وقال الزركلي: عَبْد الله بن يزيد بن حاتم المهلبي الازدي: أمير استعمله ابن عمه الفضل ابن روح (أمير إفريقية) على مدينة تونس، فخرج إليه أهلها، وكانوا قد نبذوا الطاعة، فقتلوه قبل أن يصل إليها.

أرى ألسن الحساد فيك كأنها سهام تهاوى من قسى نصال
يقولون قد كاتبت عبدوي في التي إذا نالها أولتك شر وبال
وقالوا وعدت القوم عند لقائهم رجوعاً عن الهيجا بغير قتال
وليس الذي مناك عبدوي كائناً فدعه ولا تركن لقول ضلال
ألا إنني لم أمس فيك مصدقاً لأقوالهم، والصدق خير مقال

فلما وردت الأبيات على عَبْد الله علم أنه أتهمه، فأجابه بقوله:

لعمرك لولا ما أتهمت لما أتت قوارض أبداهن شر مقال
أظن ابن روح أنني كنت قاطعاً يميني التي أسطو بها بشمالي
وهبني تناولت التي كنت خفتها فكيف أعتذاري فيك بعد فعالي
فلا تحسبني مسلماً ان لقيتهم لأسيافهم ظهري بغير قتال

فقال الفضل عند قراءة جوابه لو كان حسادنا يتركون البغي على حال لتركوه على مثل حالنا هذه. ثم أخرجه إلى قتال عبدويه بن الجارود فهزمه عَبْد الله بن يزيد، ثم عاوده الحرب فهزمه عبدويه وانصرف عَبْد الله إلى القيروان مفلولاً، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكلب عليه ابن الجارود، ثم قتله بعد أن استرجعه من طريقه، وأطلق عَبْد الله بن يزيد وأمره وأخاه المهلب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجهز والخروج من إفريقية، فخرجوا إلى المشرق.

٢٤ - سليمان بن حميد الغافقي، أبو داود.

فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره، وأحسن الناس لسانا، وأبلغهم إلى معرفة بأيام العرب وأخبارها، ورواية لوقائعها وأشعارها، مع دعابة كانت فيه وعبث لا يدعه؛ حملت عنه في ذلك نوادر مستطرفة وحكايات مستملحة.

وخافه عَبْد الرَّحْمَن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الْفِهْرِيّ فسجنه وأخاه مُحَمَّداً، ولم يكن بدونه. وكان مُحَمَّد - وهو أكبر من سليمان - والياً على الأربس، فثار على عَبْد الرَّحْمَن

بن حبيب. وسرحها إلياس بن حبيب - حين قتل أخاه عَبْد الرَّحْمَن - وولي إفريقية بعده، واستعان بها في ذلك وعاش سليمان.. يزيد بن حاتم المهلبي فقصدوا قسطيلية. وهو القائل في يوم أبي زرجونة:

وما إن صددنا عنهم خوف بأسهم ... وحاشا لنا أن نتقي بأس بربرا
وإنا إذا ما الحرب أسعر نارها ... لتلقى المنايا دارعين وحسرا
ونغدو بصبر حين تشتجر القنا ... فلست ترى منا على الموت أصبرا
ولكن أردنا ذل قوم تطاولوا ... علينا وأبدوا نخوة وتكبرا

٢٥ - عَبْد الله بن الجارود العبدي، ويقال له: عبدويه[1].

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٢٢٥، وقال ابن عساكر: عَبْد الله بن الجارود واسمه بشر، كان عَبْد الله بن يزيد الأسيدي ثم التميمي يكثر التعبث بعبد الله بن الجارود العبدي وكان عَبْد الله بن الجارود عاملا على البصرة من قبل سليمان بن عَبْد الملك فدس عَبْد الله بن الجارود رجالا من عَبْد القيس فشهدوا على عَبْد الله بن يزيد بشرب الخمر فقبض عليه وضربه الحد ضرب التلف. فأخذ عَبْد الله بن يزيد يقول: ما هكذا تقام الحدود ثم أمر به السجن ودمس إليه غلاما له فدق عنقه في الحبس وادعى عليه أنه مص خاتما كان في يده تحت فصة سم. فأنشأ الفرزدق يقول من أبيات:

يال تميم ألا لله أمكم... لقد رميتم بإحدى المصمئلات

فوجه عَبْد الله بن الجارود من لبب الفرزدق وقاده إلى السجن. فلما كان على باب السجن قال: أيها المسلمون أشهدكم أنه ليس في اصبعي خاتم. ونمي الخبر إلى سليمان فعزل ابن الجارود وأشخصه إليه فلما دخل عليه سلم بالخلافة فقال له سليمان: لا سلم الله عليك قتلت من كان خيرا منك أبا وأما. فقال له الجارود: يا أمير المؤمنين وليتمونا بلدا ودفعتم إلينا سيفا وسوطا وأمرتمونا بإقامة الحدود فإن تهلك نفس فمن وراء الجهد وأما قولك يا أمير المؤمنين: إنه كان خيرا مني أبا وأما فأما أبي فهو الجارود بن المعلى الذي قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أسلم يا جارود قال: اضمن لي الجنة يا رسول الله وهو الذي قال فيه عمر: لو أدركت سالما مولى أبو حذيفة لم يخالجني فيه الشك ولو أدركت أعميش عَبْد القيس لسلمتها إليه وأما أمي فابنة الذي أجار أباك على علي بن أبي طالب يوم الجمل. وكان جده لأمه مسمع بن مالك أبو مالك بن مسمع وكان أجار مَرْوَان يوم الجمل على علي بن أبي طالب.

لما غلب على القيروان، وأخرج الفضل بن روح ثم رده وأرداه، بعد صيته واستغلظ أمره؛ وزحف إليه مالك بن المنذر الكلبي من ميلة في جند حمص ثائرين بالفضل، فصرع مالك بسهم في تقاتلهما ونجا ابن الجارود.

ثم زحف إليه العلاء بن سعيد المهلبي من الزاب - ولم تكن لابن الجارود به طاقة - فصادفه قد خرج من القيروان ليلقى خليفة هرثمة بن أعين، وقد قدمه بين يديه، وذلك مستهل صفر سنة تسع وسبعين ومائة.

وكان الرشيد لما بلغه خبر ابن الجارود قد وجه إليه من تلطف به حتى أقدمه عليه، وكانت أيامه سبعة أشهر. وقدم هرثمة بن أعين والياً على إفريقية.

ومن شعره عند فتكه بمُحَمَّد بن الفارسي، وكان من أصحابه ثم خرج عليه في أهل خراسان ومن أطاعه، وتناهضا للحرب فمكر ابن الجارود به، ودعاه إلى الكلام، وأمر شجاعاً من فرسانه إذا رآه معه أن يفتك به، فتم ذلك وانهزم أصحابه. وقال ابن الجارود في ذلك:

لقد رامني ابن الفارسي بكيده ... فوافق أمضى منه عزماً وأكيدا
عشية أدعوه ليسمع منطقي ... فأعجزه إصدار ما كان أوردا
فداريته حتى اطمأن جنانه ... وكنت امرأ مثلي أغار وأنجدا
أشرت إلى ذي نجدة فانكفا له ... بأسمر خطي إذا مال أقصدا
فما زال قاب القوس إلا وعامل ... من الرمح دام بين خضنيه قد بدا
فقل للعلاء: قد أصابت مُحَمَّداً ... منية يوم، فارتقت مثلها غدا

وهو القائل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر، يخاطب العلاء بن سعيد عندما زحف إليه:

أفي كل يوم ثائر قتلته ... بفضل، وما ينفك للفضل ثائر
قضيت لنفسي النذر في قتل مالك ... وإني لها قتل العلاء لناذر
فما للعلاء خيرة في لقائنا ... وليس له في الناس إن فر عاذر

٢٦- مالك بن المنذر الكلبي، أبو عَبْد الله.

كان والياً على ميلة، فدعاه جند حمص وغيرهم من العرب فأمروه لطلب ثأر الفضل بن روح. واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم أصحاب مالك، فترجل عن فرسه وشد في نفر من أصحابه وهو يقول:

يا موت إني مالك بن المنذر ... أهتك حشو البيض والسنور

أقتل من صابر أو لم يصبر ... كأنني أفعل ما لم يقدر

فخرج إليه ابن الجارود وهو يقول:

إلى فادن، مالك بن منذر ... أنا الذي قتلت رب المنبر

جرعته كأس الحمام الأحمر ... فأصبر ستلقاه وإن لم يصبر

فقتل مالك بسهم وانهزم أصحابه.

٢٧- العلاء بن سعيد بن مَرْوَان المهلبي.

كان والياً على الزاب، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود. ولما وصل إلى الأربس اجتمع مع أهل الشام، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال: أفي كل يوم ثائر قد قتله.. الأبيات الرائية المتقدمة، وكتب إليه كتاباً معها فجاوبه العلاء عنه وقال يخاطبه:

لعمرك يا عبدوي ما كنت تاركاً ... دم الفضل أو يكسوني الترب ثائر

نذرت دمي فأنظر إذا ما لقيتني ... على من بكأسيها تدور الدوائر

ستعلم إن أنشبت فيك مخالبي ... إلى أي قرن أسلمتك المقادر

ثم أقبل العلاء فصادف ابن الجارود قد خرج إلى يحيى بن موسى خليفة هرثمة بن أعين، فكان العلاء يدعى أنه الذي أخرج ابن الجارود من إفريقية.

٢٨- إبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مزين الأودي.

أصل سلفه من أكشونبة، وصارت بها لعقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرهم المعتضد عباد بن مُحَمَّد صاحب إشبيلية.

وسكن إبراهيم هذا -وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين الفقيه صاحب تفسير الموطأ- قرطبة، وكان يتعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام. ثم ولاه إمارة طليطلة أعواماً متصلة، وكان قد وليها قبله جده إبراهيم بن مزين الكاتب، وابن الفرضي يجعل بني مزين موالى رملة بنت عثمان بن عفان رضي الله عنه. وإبراهيم بن مُحَمَّد هو القائل:

بأبي أنت من غزال مليح ... ليس فيه لمن تأمل سولا

روضة الحسن فيك تزهى ولكن ... كل حول يبقى ربيعك حولا

٢٩- مُحَمَّد بن مقاتل بن حكيم العكي[1].

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين، وكان - فيما يقال - رضيع الرشيد. وكان جَعْفَر بن يحيى شديد العناية به، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية، وحضر مع قحطبة بن شبيب حروب المروانية، ثم قتله عَبْد الله بن علي لما خلع وادعى الأمر.

ولم يلبث مُحَمَّد بن مقاتل أن اضطرب أمره، واختلف عليه جنده، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي - وكان عامله عليها، وهو جد أبي العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب طبقات إفريقية - فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين، فخرج إليه ابن

---

(١) الأعلام ٧/ ١٠٧، وقال الزركلي: مُحَمَّد بن مقاتل بن حكيم العكي: أمير. كان رضيع هارون الرشيد العباسي.

ولي إفريقية (سنة ١٨١ ه) وقدم إليها، فأقام بالقيروان. ولم تحمد سيرته، فثار عليه عامله بتونس تمام ابن تميم التميمي، فانخذل العكي، واعتقله تمام وأرسله إلى طرابلس الغرب، فقام بنصرته عامل الزاب (إبراهيم ابن الاغلب) فأعاده إلى القيروان، وقضى على فتنة تمام. وأحب الناس إبراهيم.

وكان لافريقية كل سنة مئة ألف دينار، تأتيها من مصر، فعرض إبراهيم على (الرشيد) أنه يترك هذه المئة ألف ويرسل هو من إفريقية أربعين ألف دينار، فورد أمر الرشيد بولايته (وعزل العكي (سنة ١٨٤) واستقل إبراهيم بالامارة.

العكي فانهزم، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم.

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب، فنهض منها في نصرة مُحَمَّد بن مقاتل. وعلم تمام أنه لا طاقة له به، فتخلى عن القيروان ورجع إلى تونس.

ودخل إبراهيم القيروان، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم مُحَمَّد بن مقاتل. وكتب إليه فأقبل راجعاً.

وأراد تمام أن يحرش بينهما فكتب إلى مُحَمَّد بن مقاتل كتاباً في آخره:

وما كان إبراهيم من فضل طاعة ... يرد عليك الثغر لكن لتقتلا

فلو كنت ذا علم وعقل بكيده ... لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا

فمهما تشأ يمنعك منه ابن غالب ... ومهما يشأ فيك ابن أغلب يفعلا

فجاوبه العكي بنقيض ذلك وكتب في أسفل كتابه:

وإني لأرجو إن لقيت ابن أغلب ... غداً في المنايا أن تفل وتقتلا

تلاقى فتى يستصحب الموت في الوغى ... ويحمى بصدر الرمح عزا مؤثلاً

كأنك قد صافحت في بطن كفه ... من البيض محمود المهزة مقصلا

وأقبل تمام ثانية في عسكر ضخم، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراءه، فانهزم تمام عند التقائهما. وعاد ابن العكي إلى القيروان وأتبعه إبراهيم إلى تونس، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان. وبعقب هذا ورد كتاب الرشيد بعزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب.

٣٠- الخصيب مولى ابن العكي.

قدمه مُحَمَّد بن مقاتل مولاه لحرب مخلد بن مرة - الخارج عليه قبل تمام بن تميم - وأمره على الجيش الناهد صحبته، فصبح القوم آمن ما كانوا؛ وهم خمسمائة من أهل خراسان والشام. وكان الذي هاج ذلك فلاح بن عَبْد الرَّحْمَن الْكَلَاعِيّ، فقتل مخلد بن مرة أميرهم وعدة ممن

كان معه، وانهزم أصحابه إلى تونس. ومر الخصيب بمُنزل فلاح فأحرقه، وأخذ امرأته فانطلق بها وقال في ذلك:

لو كنت حراً يا فلاح صبرت لي ... وحميت عرسك والفتى يحمى
لكن هربت من القراع وأسلمت ... كفاك حرمتها على الرغم
ما النجم أبعد منك لو طالبته ... لتناله بيديك من سلمى

٣١- تمام بن تميم الدارمي التميمي أبو الجهم.

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً، وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب. قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن إعادته هنا؛ وفي الكتاب المعرب عن أخبار المغرب تأليف أبي علي الحسن بن أبي سعيد القيرواني، أن تماماً هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغلب إليه من الزاب في محاربته ونصر ابن العكي، كتب إليه كتاباً يستدعيه ويستعطفه وكتب في أسفله:

أقدم إبراهيم علماً بفضله ... وحق له في الأمر أن يتقدما
وقلت له: فأحكم فحكمك جائز ... علينا فقد أصبحت فينا مقدما
ورد في بلاد الزاب ما شئت قادراً ... وإن شئت ملك الغرب خذه مسلما

فجاوبه ابن الأغلب بخلاف ذلك وكتب إليه في أسفل كتابه:

دعوت إلى ما لو رضيت بمثله ... لما كنت يا تمام فيه مقدما
سأجعل حكمي فيك ضربة صارم ... إذا ما علا منك المفارق صمما
ستعلم لو قد صافحتك رماحنا ... بكف المنايا، أينا كان أظلما

فذكر عن فلاح الْكَلَاعِيّ أنه قال: كنت عند تمام يوم قرأ كتاب إبراهيم، فذهب لونه ثم ارتعد حتى سقط الكتاب من يده. وكان صارماً شجاعاً ممدحاً، وفيه يقول الفضل بن النهشلي يمدحه من قصيدة:

أضحت ومنزلها مصر ومنزلنا ... بالقيروان، ويا تشواق مغترب
أخا بني نهشل، دعها فقد نزحت ... وأمدح قريع معد واحد العرب

تمـام كـبش بنـي عـدنان قاطبـة ... الـدارمي الكـريم البيـت والنـسب
الفـارس البطـل الحـامي حقيقتـه ... والنـاعش الـراش الفـراج للكـرب
تـأوى إليـه نـزار حـين يـدهمها ... ريب الزمان وتخـشى سـطوة النـوب
أعطـت بنـو دارم في المجـد رايتهـا ... بني المجاشـع يـوم الفخـر والحـسب

قال أبو العرب، وذكر ولاية جده تمام هذا إفريقية بعد مُحَمَّد بن مقاتل العكي: تمـام بـن تميم: هذا هو جدنا، هو ابن القادم من المشرق. قال: وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد.

وفي الكتاب المعرب عن أخبار المغرب أن إبراهيم بن الأغلب لما صار الأمر إليه بعث بـه وبجماعة معه - من وجوه الجند الذين كان شأنهم الوثوب على الأمراء - إلى الرشيد، فأما تمام فإنه حبس إلى أن مات في حبسه.

وحكى أن الرشيد وعد أخاه سلمة بن تميم إطلاقه، وبلـغ ذلـك إبـراهيم ابـن الأغلـب فكتب إلى عمته وهي ببغداد في سمه، فأشتهى تمام حوتاً فسمته لـه، فـمات مـن أكلـه بعـد أن ذهب بصره في المطبق قبل موته بشهر. وعلم الرشيد بذلك فترحم عليه وتوجع لـه، وأحـسن إلى سلمة أخيه وصرفه إلى إفريقية.

٣٢- إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال، أبو إسحاق.

ولاه الرشيد إفريقية بعد مُحَمَّد بن مقاتل العكي فاستقل بملكها وأورث سلطانها بنيه نيفاً على مائة سنة. وكان فقيهاً عالماً أديباً شاعراً خطيبـاً، ذا رأى وبـأس وحـزم ومعرفـة بـالحرب ومكائدها، جرىء الجنان طويل اللسان حسن السيرة، لم يل إفريقيـة أحـد قبلـه مـن الأمـراء أعدل في سيرة ولا أحسن لسياسة ولا أرفق برعية ولا أضبط لأمر منه.

وكان في أول حالته كثير الطلب للعلم والأختلاف إلى الليث بن سـعد الفقيـه؛ والليـث وهب له جلاجل أم ابنه زيادة الله، فخرج بها حتى وصل الزاب - وعلى إفريقية يومئذ الفضل بن روح بن حاتم - فلقى من تعصبه وسوء مجاورته عظيماً. وأقام أخوه عَبْـد الله بـن الأغلـب بمصر، وكان ذا نعمة عظيمة، فلما توفي أرتحل بنوه إلى إفريقية.

وولى الزاب من قبل هارون الرشيد وابن العكي على إفريقية، وقد تقدم ذكر نصرته لابن العكي إلى أن صرف بإبراهيم سنة أربع وثمانين ومائة. وتوجه إلى المشرق، فلما بلغ طرابلس دلس له كاتبه داود القيرواني على لسان الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وأنصرافه إلى عمله، فتمشى ذلك زماناً. وبلغ الرشيد فغاظه، وأسجل لإبراهيم بولاية إفريقية ثانية، فاشتد عند ذلك سلطانه وعظم دون الملوك الذين تقدموه شأنه، وخرج ابن العكي من إفريقية وأعمالها. وعلى هذه الحال لم يكاف إبراهيم على حسن ما أسلفه في جانبه إلا بأقبح الأفعال.

ومن فضائل إبراهيم المأثورة، وجلائل أنبائه المسطورة، أنه عفا عن داود كاتب ابن العكي وأسقط التثريب عليه وقبل متابه فأمنه واستعمله، وقد ذكرت ذلك في تأليفي المترجم بـ(إعتاب الكتاب)، وهو القائل وقد خلف أهله بمصر في قصده الزاب:

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة ... إلا وذكرك يثنى دائباً عنقي

ولا ذكرتك إلا بت مرتفقاً ... أرعى النجوم كأن الموت معتنقي

البيت الأول نظير قول يزيد بن مُعَاوِيَة بن أبي سفيان في زوجه:

إذا سرت ميلا أو تغنت حمامة ... دعتني دواعي الشوق من أم خالد

وكان مُحَمَّد بن سيرين يقول: هو أشوق بيت قالته العرب.

وقال إبراهيم وهو بالزاب في قتل ابن الجارود للفضل بن روح بن حاتم، وقد بلغه أن نصر بن حبيب المهلبي أشار برد الفضل من طريقه، لأنه خاف أن يحدث حدثاً فيقتله ابن الجارود بسببه:

يا نصر قد أصبحت ألأم من مضى ... منكم وألأم حاضر معلوم

لما أشرب برد فضل بعدها ... قطع البلاد على أقب رسوم

لم ترض بالخذلان حتى كدته ... لا زلت مخذولا بغير حميم

ما كنت حين غدوت تنشر لحية ... فيها لقومك غدرة بكريم

لو كان ناداني أجبت دعاءه ... بالخيل أقحمها بسعد تميم

خيل بها أهدى المنايا للعدى وبها أفرج كربة المكظوم

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن العكي وهرب تمام بن تميم أمامه:

لو كنت لاقيت تماماً لصال به ضرب يفرق بين الروح والجسد
لكنه حين شام الموت يقدمني ولي فراراً وخلى لي عن البلد
إن يستقم نعف عما كان قدمه وإن يعد بعدها في غدرة نعد

ثم نزل عن المنبر وكتب إلى مُحَمَّد بن مقاتل يستعيده إلى عمله وقال في ذلك:

أتشكر عنا ما صنعت بربها وردى عليها الثغر أم هي تكفر؟
نفيت لها التمام بالسيف عنوة ولم يغنه في الله ما يتمضر
فأقبل إلي ما كنت خلفت كارهاً فقد ذاد سيفي عنك ما كنت تحذر

وقال أيضاً في ذلك:

ألم تري رددت طريد عك وقد نزحت به أيدي الركاب
أخذت الثغر في سبعين منا وقد أوفى على شرف الذهاب
هزمت لهم بعدتهم ألوفاً كأن رعيلهم قزع السحاب

قال إبراهيم هذا؛ لأنه قصد لنصرة ابن العكي في سبعين فارساً من أهل بيته وخاصته إقداماً ونجدة، فقال بعض شعراء إفريقية في ذلك:

ما مر يوم لإبراهيم نعلمه إلا وشيمته للجود والبأس

ولما حارب تماماً وابن العكي بالقيروان، حمل على الميمنة وهو يقول:

أطعنهم ولا أرى لي كفوا حتى أنال ما أريد عفوا

أو أحسنون كأس المنايا حسوا ثم رجع إلى الميسرة بعد أن كسر الميمنة وهو يقول:

قد علمت سعد وأبناء مضر أني منعت عزها أن يعتصر

وأنني فخارها لمن فخر ففضها، ثم رجع إلى القلب فشد عليه وهو يقول:

يا قلب قد أبصرت صاحبيكا ما لقيا مني فخذ إليكا

ضرباً يمور وقعة عليكا كيف ترى دفعي بجانبيكا

وحمل أصحابه فكانت الهزيمة على تمام.

وله حين وجه بمن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد:

ما سار كيدي إلى قوم وإن كثروا إلا رمى شعبهم بالحزم فانصدعا

ولا أقول، إذا ما الأمر نازلني: يا ليته كان مصروفاً! وقد وقعا

حتى أجليه قهراً بمعتزم كما يجلي الدجى بدر إذا طلعا

قوماً قتلت وقوماً قد نفيتهم ساموا الخلاف بأرض الغرب والبدعا

كلا جزيتهم صدعاً بصدعهم وكل ذي عمل يجزى بما صنعا

وله أيضاً وهو من جيد شعره:

ألم ترني أرديت بالكيد راشداً وأتى بأخرى لابن إدريس راصد

تناوله عزمي على بأي داره بمختومة في طيهن المكائد

وقد كان يرجو أن يفوت مكائدي كما كان يخشاني على البعد راشد

ثلاثون ألفاً سقتهن لقتله لأصلح بالغرب الذي هو فاسد

فأضحى لدينا راشد يتبذنه بنات المنايا والحسان الخرائد

فتاه أخو عك بمهلك راشد وقد كنت فيه ساهراً وهو راقد

راشد هذا هو مولى عيسى بن عَبْد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً، خرج بإدريس بن عَبْد الله أخي مولاه عند انهزامه في وقعة فخ - وقد تقدم ذكرها - وانغمس به في حاج أهل مصر، وغير زيه وألبسه مدرعة وعمامة غليظة، وصيره كالغلام يخدمه، وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك. وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل، فترك دخولها ثم سار به في بلاد البربر حتى أنتهى إلى فاس وطنجة، فأظهر إدريس هنالك أمره وأخبر بنسبه، ودعا البربر إليه فأجابوه، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة، في السنة التي توفي فيها عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة وولى ابنه هِشَام الرضا، وفي السنة الثانية من خلافة هارون الرشيد، أقام بين

أظهر البربر ملكاً مطاعاً. وبلغ الرشيد خبره فشق عليه، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فدس إليه من سمه في غالية، وقيل في ذرور أستن به، وقيل في دلاعة قطعها بسكين، نصفها مسموم والثاني غير مسموم، وقيل في بطيخة. وهرب هو وصاحب له، فيقال إن راشداً اتبعهما وقد بعدا فأدركهما وهو وحده على فرسه، فشد عليهما بسيفه فضرب أحدهما وفات الآخر؛ وانصرف راشد وهلك إدريس.

ويقال: إن الذي دس الرشيد إليه ليسمه هو الشماخ اليمامي، وكتب له إلى إبراهيم بن الأغلب. فوصل إلى إدريس وعرفه أنه متطبب وأنه من أوليائهم، فأطمأن إليه وأنس به. وشكا إليه علة في أسنانه، فأعطاه سنوناً مسموماً وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر، وهرب تحت الليل. فلما طلع الفجر أستن إدريس بذلك السنون فقتله، وطلب الشماخ فلم يقدر عليه. وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك، فولى الشماخ بريد مصر وأجازه. وقد تقدم عند ذكره أن الذي سمه سليمان بن جرير في سمكة مشوية، وقال في ذلك أشجع السلمي من شعراء الرشيد:

أتظن يا إدريس أنك مفلت ... كيد الخليفة أو يقيك حذار
إن السيوف إذا انتضاها عزمه ... طالت وتقصر دونها الأعمار
هيهات إلا أن تكون ببلدة ... لا يهتدي فيها إليك نهار

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب، إلى أن مات بو ليلى سنة خمس - وقيل سنة أربع - وسبعين ومائة، ثلاثة أعوام وستة أشهر.

وكان قد خرج إلى سبتة في شيبان سنة ثلاث وسبعين، وإلى تازا في جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين، وترك حملا من إحدى جواريه، فقام راشد بأمر البربر حتى ولدت غلاماً، فسماه باسم أبيه إدريس وكفله إلى أن بلغ الغلام.

وعلا أمر راشد واستفحل، وهم بغزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة الجنود، فكاده إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته، ودس إلى أصحابه، وبذل لهم الأموال إلى أن أغتالوه وبعثوا برأسه إليه، فبعث به إلى ابن مقاتل العكي وأخبره بكيده إياه وتدبيره في قتله،

فبعث به العكي إلى هارون الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه دون إبراهيم، فكتب صاحب بريد المغرب إلى هارون بصنيع إبراهيم في راشد. فعلى إثر ذلك ولي الرشيد إبراهيم بن الأغلب إفريقية وصرف عنها العكي.

وقد قيل: إن الرشيد إنما دس إلى إدريس من أغتاله وخاطب إبراهيم به وهو عامل له على إفريقية؛ والأول أصح. وتوفي إبراهيم في شوال لثمان ليال بقين منه سنة ست وتسعين ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة؛ فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام.

٣٣- يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي، أبو العباس.

كان صاحب بريد المغرب أيام ابن العكي، وهو القائل لتمام بن تميم حين بلغه إقبال إبراهيم بن الأغلب إليه:

أتمام لا تقعد فإني ناصح ... وخذ مهلة إن كنت لا بد هارباً

وإلا فعذ من سخطه بأمانه ... فلست بلاق لابن أغلب غالباً

ولا تحسون كأساً فليس بنافع ... تحسيك ما فيها إذا كنت شارباً

٣٤- خريش بن عَبْد الرَّحْمَن بن خريش الكندي.

ثار بتونس، وكان صهر الحسن بن حرب الكندي المخالف على الأغلب ابن سالم. ولم يكن من الجند، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا بإفريقية قبل المسودة، فخلع المسودة وأتاه العرب والبربر من كل ناحية. فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب: من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب.

أما بعد، فإني أقمت عن الخروج قبل يومي هذا لأني كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب؛ فلعمري لقد أرانا الله فيكم ما قوى به أهل دعوة الحق عليكم. فلما وليت أنت وعلمت أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك، عرفت قلة طمعهم فيك. ولو كان أحد ممن ولي هذا الثغر ممن لا نرى طاعته يستحق أن نرضى بولايته، لكنت أنت ذلك. وقد كان علي بن أبي

طالب رحمة الله عليه يقول: "إذا ولى عنكم عدوكم من أهل الملة فلا تتبعوهم". ولست أطلبك إن خرجت عن الثغر، فلا ترد أن تصلى بحربي، وليكن رأيك طلب سلمى؛ والسلام.

وكتب في آخر كتابه:

قل جهرةً لأبي إسحاق تنصحه ... هذا فراقكم للغرب قد حانا

فلا يعود إليه منكم أحد ... حتى يعود من الإجداث موتانا

فأرجع عن الغرب أو ألق السواد به ... لا تخترمك المنايا حين تلقانا

وسوف تعلم أن الموت يسمع لي ... إذا ألتقت بنواحي الفحص خيلانا

فلما قرأ إبراهيم كتابه كتب إليه: من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال، سلام على من أتبع الهدى.

أما بعد؛ فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ سقطت عليها: أستمسكي فإني أريد الطيران! فقالت النخلة: ما شعرت بسقوطك فيكربني طيرانك. فأما انتظارك في الحرب فناء، فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة غيري ما وصلت أنت في من معك بخلافكم إليه، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي ونصره دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه؛ فكيف وعندي من شيعته وأبناء أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي؟ وأما ما ذكرت عن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه، فذاك أمر غاب عنك. وإن كان كما ذكرت فلست منهم، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هدى في نقمة على جور، وخلافكم خلاف فرقة دين وشق عصا المسلمين، ونقمتهم م هو لله رضا. وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أنا سنتبعكم، وإن صبرتم أنا سنفتيكم. وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك وكتب إليه:

بلغ خريشاً بأني سوف أصبحه ... كأساً سيقرع منها سن حيرانا

تهدى الطعان له سمر مثقفة ... تفرى أسنتها في الحرب أعدانا

من كل أزرق يغتال النفوس به ... يضحى به من دم الأجواف ملآنا

وسوف تعلم هل ألقي السواد إذا ... أرسلت إليك المنايا حين تلقانا

إني سأهدي إليك الموت في عطب ... فأشرب منيته من كف عمرانا

ثم بعث لى عمران بن مجالد يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من تونس، وأوصاه بما يعمل. فلقيه عمران بسيخة تونس، فأنكشف خريش وأصحابه وقتل، ودخل عمران تونس يتتبعهم ويقتلهم حتى أفناهم وكان خروجه سنة ست وثمانين ومائة.

٣٥- عمران بن مجالد بن يزيد الربعي[1].

ثار على إبراهيم بن الأغلب، وكان قبل ذلك في طاعته ومناصحته، وحضر معه قتال تمام بن تميم، وخرج نائباً عنه لقتال خريش بن عَبْد الرَّحْمَن المذكور آنفاً. ولما قوى أمره أتى بعسكره حتى نزل بين القيروان وبين قصر إبراهيم، وصارت القيروان في يده. وبعث إلى أسد بن الفرات ليخرج معه فأبى أسد وتمارض، فبعث إليه: إما أن تخرج وإلا بعثت من يجر برجلك! فقال أسد: والله لئن أخرجتني لأنادين في الناس: القاتل والمقتول في النار! فتركه عند ذلك.

وخندق إبراهيم حول مدينته، ودامت الحرب بينهما سنة. ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب، وسأل الأمان - هو وعمرو بن مُعَاوِيَة وعامر ابن المعر - من إبراهيم، فأجابهم إلى ذلك.

وبقي عمران بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصير الأمر إلى ابنه أبي العباس عَبْد الله، فكتب إليه عمران يسأله تجديد الأمان فأمنه وأسكنه القصر معه، وكان يغدو عليه ويروح إلى أن سعى به، وقيل لعبد الله: هذا ثار على أبيك وحاله حاله. فبعث إليه في الظهيرة، فلم يشك في الشر. وكان عَبْد الله قد قال لمولى له: إذا ورد على وهو مشتغل بالنظر فلا يشعر إلا وقد رميت برأسه، فكان ذلك على ما حده. وكان يحيى بن سلام الفقيه صاحب التفسير قد سفر بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده، فلما قتله وجد لذلك وقال: لا أسكن بلداً أخفر فيه العهد على يدي، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فحج، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى أعتل ومات،

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ١٢٢.

ودفن بمصر سنة مائتين. ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأغلب مع تمام بن تميم، وقد برز من الصف:

يـا رسـل المـوت أنـا عمـران ... أنـا الـذي أنـتم لـه أعـوان

تـصعق مـن خيفتـي الفرسـان ... يـضحك عـن أيامنـا الزمـان

نحـن ضربنـا النـاس حتـى دانـوا ... نقتـل أهـل النكـث حيـث كـانوا

فخرج إليه رجل من أصحاب تمام وهو يقول:

أرجـع عـلى ظلعـك يـا عمـران ... قـد جـناءت المـوت لـه تهتـان

يـسقيكه مـن راحتـي سـنان ... والظـن والظـن يجلـو شكه العيـان

فشد عليه عمران فطعنه في ثندؤته فبدا عامل الرمح من خلفه.

٣٦- عامر بن المعمر بن سنان التيمي، تيم الرباب.

كان على شرطة إبراهيم بن الأغلب، ثم ثار عليه مع عمران بن مجالد وعمرو بن مُعَاوِيَة، والرئاسة منهم في تلك الثورة لعمران، إلى أن أستأمنوا جميعاً إلى إبراهيم فأمنهم. وكان عامر على قسطيلية والياً، وهو القائل فيما وقع بين مُحَمَّد بن مقاتل وتمام بن تميم من الحرب وقيام إبراهيم بن الأغلب بنصرته:

إذا كربـة شـندت خنـاق مُحَمَّـد ... فلـيس لهـا إلا ابـن أغلـب فـارج

أتـاه بـتمام عـلى بأسـه بـه ... يقـاد وقـد ضـاقت عليـه المخـارج

وقد كان بـالإسراف ألقـي سـواده ... ولم تختلجـه في الخـلاف الخـوالج

فعالجـه بالكيـد حتـى استعاده ... وأدركـه مـن بعـد مـا قيـل خـارج

ولـو أنـه يـستودع الـشمس نفسه ... إذاً ولجـت منـه عليـه الـولائج

وله في خروج خريش بن عَبْد الرَّحْمَن بتونس:

لولا دفاعك يا ابن أغلب أصبحت ... أرض الغـروب رهينـة لفـساد

ولعمنـا ذاك الخـلاف بفتنـة ... تعـدو كتائبهـا بغـير سـواد

قـالوا غـداة لقـائهم: لا ننثنـى حتـى نحـل الخلـد مـن بغـداد
فمنـوا بأشـوس مـا تـزال جيـاده تـشكو الـوحي مـن غـارة وطـراد
فخـرت بـه سـعد فأصـبح بيتهـا فـوق الفراقـد ثابـت الأوتـاد

ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن المعمر، كان أديباً ظريفاً.

وأما أبوه المعمر بن سنان فقدم مع يزيد بن حاتم المهلبي في ولايته إفريقية، وكان زميله في طريقه إذا ركب في عماريته، لأنسه به واستماعه من حديثه.

وكان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها، وعنه أخذ أهل إفريقية حرب غطفان وغيرها من وقائع العرب.

٣٧- حمزة بن السبال، المعروف بالحرون.

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجناد، وكان له من إبراهيم بن الأغلب آثر مكان وألطف محل، لقدم صحبته إياه وتصرفه معه حيث تصرفت حاله، فكان لا يدانيه عنده أخ ولا ولد ولا أحد من عشيرته. وكان والياً على طبنة، ووجهه إلى الرشيد في القواد المتوثبين على الولاة بالقيروان ولده ولد إبراهيم يتولون لهم إلى قيادة إلى عمالة حتى انفرضت دولة بني الأغلب. ومن شعره في إيقاعه بالمذكورين فيه:

سـائل بـأبرانس عنـا ووقعتنـا لمـا صـببنا القنـا نحـو ابـن مـرادس
ولي وخـلى سـعيداً رهـن نافـذة مـن طعـن أروع لـلأرواح خـلاس
فـإن يتوبـوا فقـد ذاقـوا وقائعنـا وإن يعودوا نعد أخرى من الراس

وله في حرب خريش الخارج على ابن الأغلب:

إن غـاب إبـراهيم عنـا أو حـضر فـإنني أنـصره فـيمن نـصر
والله لا أرجـع إلا بظفـر لـيس يمـوت المـرء إلا بقـدر

وكل من خالفنا فقد كفر فجعل ما يشد على ناحية إلا هدها. وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم في خلافه وهو يقول:

إن ظفـــرت كفـــي بـــإبراهيم هـــددت رأس العـــز مـــن تميم

فلما سمعه إبراهيم نادى حمزة: يا حمزة، أخرج إلى هذا الكلب! فخرج إليه وهو يقول:

أحلـــف بـــالركن وبـــالحطيم مـــا فـــيكم كفـــؤ لإبـــراهيم

ليـــصبحن اليـــوم كالـــصريم [.....][1]

ثم شد عليه فقتله.

٣٨- إبراهيم بن مُحَمَّد الشيعي[2].

من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغلب، وكان أقرب الناس إليه في الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل البلد، وأنفذه رسولا إلى الرشيد وبعث صحبته برسل بهلول بن عَبْد الواحد المدغري، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم بغداد. واستأذن الشيعي هذا في الكلام بعد أن قال: يا أمير المؤمنين؛ رسول سيفك دولتك إبراهيم بن الأغلب، فأذن له على إثر هذا فخطب. وكان بليغاً مدركاً، وهو القائل في مجلس ابن الأغلب بالقيروان وبدار الإمارة منها عنه قدومه لمحاربة تمام بن تميم بعد محاورة حسنة:

لولا ابن أغلب أضحى الغرب ليس به عـدل ولا لبنـى العبـاس سـلطان

عـم الخـلاف قلـوب القـوم فأبتـدعوا إلا خـصائص أدتهـا خراســان

جـلا ابـن أغلـب عنـا كـل مظلمـة فيها المطيع بسكر الخوف حيران

كادت شباطين تمام ترعن بنا: بحر الضلالة والتمام شيطان.

٣٩- عمرو بن مُعَاوِيَة القيسي[3].

هو من ولد عمير بن الحباب السلمى أحد فرسان قيس وساداتها الأربعة في الإسلام، وهم: عَبْد الله بن حازم والجحاف بن حكيم، وعمير بن الحباب المذكور، وزفر بن الحارث.

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢٩.

(٣) تبصير المنتبه ١/ ٢٤٩.

وكان عمرو بن مُعَاوِيَة يتولى ناحية القصرين من إفريقية، وخرج على إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجالد، وكان وزيره الغالب عليه في أموره. ثم خرج ثانية على ولده زيادة الله بن إبراهيم - وكان قد ولاه القصرين وما إليها - فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف، فلما ظفر به زيادة الله قتله وولديه الحباب وسكتان، ودعا أهل بيته فشرب معهم ورؤوسهم بين يديه، فغضب لهم منصور بن نصر الجشمي المعروف بالطنبذي - وكان عاملاً على طرابلس - وتابعه الجند، فاضطربت إفريقية على زيادة الله وحصر في قصره، ولم يبق في يده إلا الساحل وقابس إلى أن قتل منصور واستأنس إلى زيادة الله وصفت له إفريقية واستقامت بعد حروب طويلة وخطوب جليلة.

ومن شعر عمرو بن مُعَاوِيَة ما حكى أن بعض أصحاب تمام بن تميم - يوم التقى هو وإبراهيم بن الأغلب، عند خروج تمام على ابن العكي - برز من الصف وهو يقول:

اليوم نسقيكم سوى المدام ... بالبيض يهوى حدها بالهام

حتى تخلوا الغرب للتمام وبرز إليه عمرو وهو يقول:

من مبلغ قولي إلى التمام ... حلفاً برب الحل والحرام

إنك محمول على الصمصام ... وقد تلاقت حلق الحزام

ثم شد عليه فأرداه عن فرسه.

٤٠ - بهلول بن عَبْد الواحد المذغري[1].

كان رئيساً في قومه، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسني صاحب المغرب، ثم تغير عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية، وذلك بتلطف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس، فجرت بينهما مكاتبات كان في بعضها مما كتبه البهلول إلى إبراهيم:

لئن كنت تدعوني إلى الحق ناصحاً ... لتكشف عن قلبي ضمير خلاف

لقدماً أتانا عنك أنك ناضح ... لمن قال بالصلح الخلافة كاف

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٩٩.

وأنـك محمـود النقاء عنـدهم تـزين مـا تـأتي لهـم بعفـاف
فعجـل عـلى رد رأيـي فـإنني أرد الهـوى للحـق حـين يـوافي

فجاوبه إبراهيم بقوله:

عرضت على البهلول ما إن أصابه تعـوض منـه طاعـة بخـلاف
ليركب نهج الحق، والحق واضح ونهـج العمـى وعـر المسالك عـاف
فـلا تـتركن رشـد الهـدى لـضلالة كمـستبدل رنـق الـشراب بطـاف
وبـايع لهـارون الإمـام بطاعـة تجـده عـلى الإسـلام خـير مكـاف

obeikandl.com